سلسلة
معارف إلهية
تكشف عن آخر ما توصلت إليه
أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام

٣

علم الحروف
وخطورة طبقات حقائق
ومقامات أهل البيت (عليهم السلام)

بقلم
الشيخ كامل بدر الحلفي

سلسلة
معارف إلهيَّة
تكشف عن آخرِ ما توصَّلت إليه
أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام
(٣)

علم الحروف
وخطورة طبقات
حقائق ومقامات أهل البيت عليهم السلام

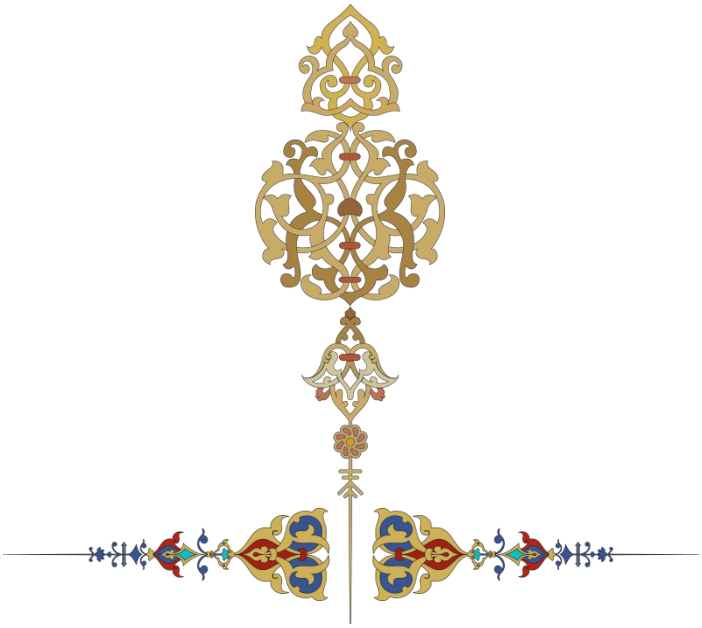

عِلْمُ الْحُرُوف
وَخُطُوْرَة طَبَقَات
حَقَائِق وَمَقَامَات أَهل الْبَيْت عليهم السلام

بقلم

الشَّيخ كامِل بَدِر الْحِلْفِيّ

أسم الكتاب /

علم الحروف
وخطورة طبقات
حقائق ومقامات أهل البيت عليهم السلام

بقلم /
الشيخ كامل بدر الحلفي
النجف الأشرف

محفوظة جميع الحقوق

سنة الطبع /
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣ م
الطبعة / الأولى

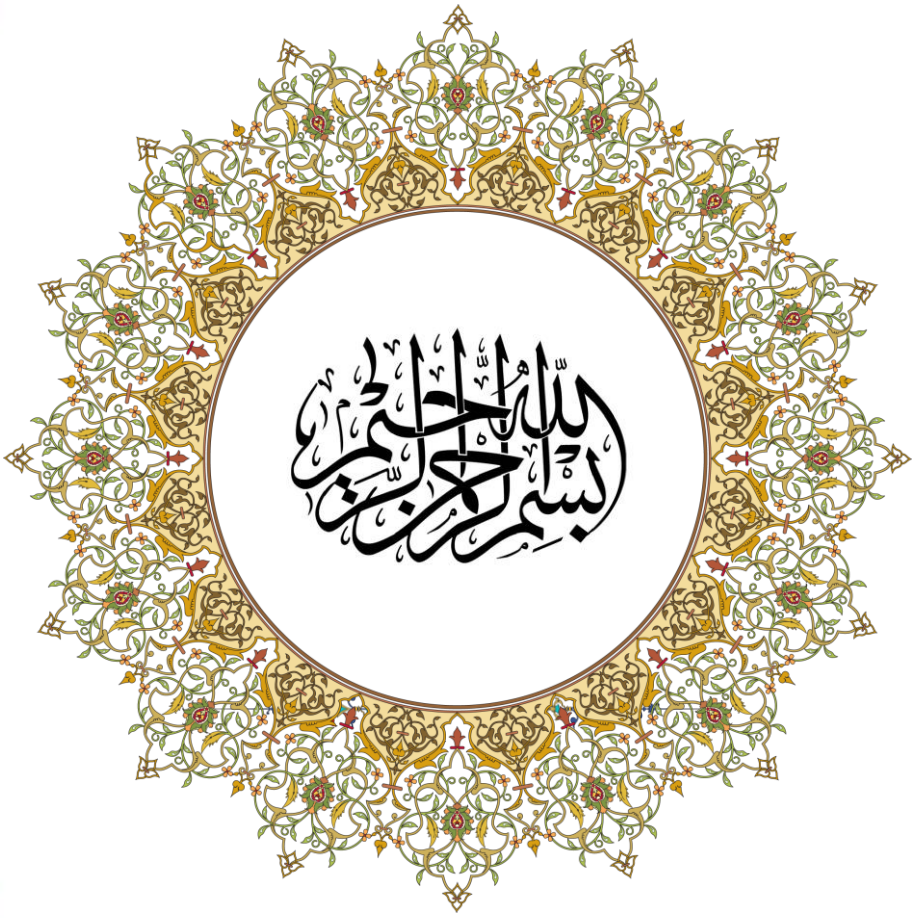
بسم الله الرحمن الرحيم

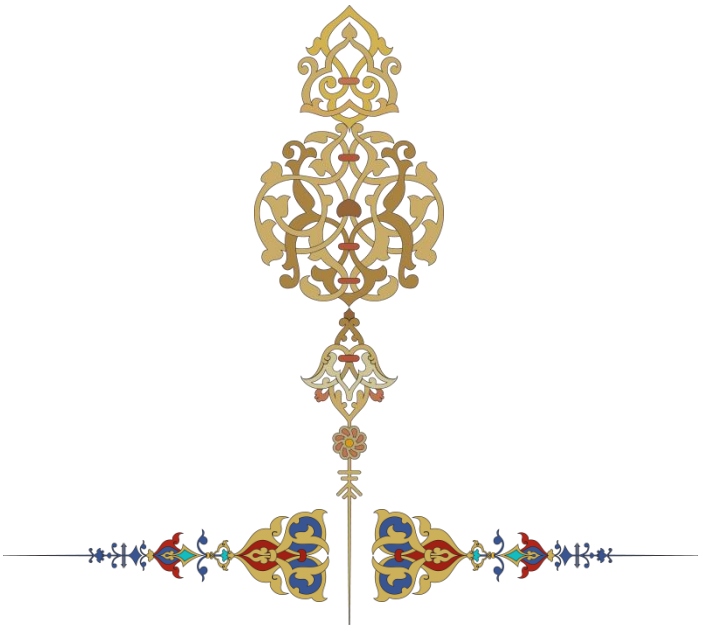

الْمُقَدَّمَة

الحمدُ لِلّـه الَّذي قد خضعت له رواتب الصِّعَاب في محلِّ تُخُوم قرارها، وأَذعنت له رَوَاصِن الأَسباب في مُنتهىٰ شَواهق أَقطارها ، وصلَّىٰ اللّـه على عبده ورسوله الصِّدِّيق الأَكبر ، والنَّاموس الأَنور ، والسِّراج الأَزهر ، والزَّلَفة والكوثر ، وعلى آله فروع الزَّيتونة ، وقناديل بيت النُّبُوَّة ، وسُلَّان الرسالة ، وأُدَبَاء السَّفَرَة ، وربائب الكرام البررة ، ومصابيح المشكاة الَّتي فيها نور الأَنوار ، وصفوة الكلمة الباقية في عقب المصطفىٰ ، أَخيار الدَّهر ، ونواميس العصر ، سفينة النَّجَاة الَّتي أَعلام الهداية والفلاح على مسالكها مرفوعة ، وأَصوات الدَّاعين إِلى الفوز والنَّجاح في مناهجها مسموعة ، والواصل في سلوك شوارعها إِلى رياض نَضِرَة ، وحدائق خَضِرَة، مُزيَّنة بأَزْهَار كُلِّ علم ، وثمار كُلِّ حكمةٍ ، وفي طيِّ منازلها طُرُقاً مسلوكة معمورة، مُوْصِلَة إِلى كُلِّ شَرَفٍ ومنزلةٍ ، فلم يُعثر على حكمةٍ إِلَّا

وفيها صفوها ، ولم يُظفر بحقيقة إِلَّا وفيها أَصلها ، واللَّعنة الدَّائمة أَبد الآباد ودهر الدُّهور على أَعدائهم وشانِئِيهم وظالميهم ومتابعيهم وغاصبي حقوقهم ، ومُنكري فضائلهم ومناقبهم ، ومناوئي شيعتهم من الأَوَّلين والآخرين.

وبعد : هذا هو الإِصدار الثالث الَّذي مَنَّ الله عزَّوجلَّ علينا أَنْ وَفَّقَنا لإِصداره ضمن هذه السلسلة ، وهي سلسلة المعارف والعقائد المُستفادة من بيانات الوحي القطعيَّة بالقطع العقلي ، بل والوحياني ، والمستفاد جملة من بحوثها من الأَبحاث العلميَّة والمعرفيَّة والعقائديَّة والعقليَّة الحديثة الدَّائرة في أَروقة حوزة النجف الأَشرف ، وبعضها الآخر جهود وتحقيقات خاصَّة، والَّتي تحمل جملة هذه الأَبحاث والتَّحقيقات في طيَّاتها آخر ما توصَّلت إِليه أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام في جامعة العلم الكُبرىٰ (حوزة النَّجف الأَشرف) ، وكُلُّ ذلك إِداءً لواجب الدِّين والشَّريعة ، وقياماً بفرض الخدمة للحنيفيَّة البيضاء ، وإِحياءً لِـمَا قد اِنْدَرَسَ من معالم الدِّين والإِيمان ، وانْطَمَسَ تحت أَطباق البَلَىٰ ، وإِعلاءً لكلمة الحقِّ ؛ كلمة العدل والصِّدق ، ونشراً لأَلوية معارف الإِسلام والإِيمان المُقدَّس ، وذبّاً عن مدرسة الحقيقة ؛ مدرسة أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم.

وهذا الإِصدار يتعرَّض لـ : (علم الحروف) ، و(خطورة طبقات حقائق ومقامات أَهل البيت عليهم السلام) النَّاموس الأَنور ، والسِّراج الأَزهر ، والزَّلفة والكوثر ، نور الأَنوار ومحلّ سرّ الأَسرار ، وعنصر الأَبرار ، ولسان

وبيت الصِّدق ومحلِّ الرِّفق ، السِّراج الوهَّاج ، والسَّبيل والمنهاج ، والماء الثَّجَّاج ، والبحر العجاج ، والسَّبيل الأَقوم ، والصِّراط الأَعلم ، والسِّراج لِـمَنْ استضاء به ، والمحجَّة العُظمىٰ ، والسَّبيل المفضية لِـمَنْ لزمها النَّجاة ، ولِـمَنْ تقدَّمها غرق في بحر الإِفراط ، ومَنْ تأَخَّر عنها زهق في بَرِّ التَّفريط.

لكن : جلَّ ما في هذا التَّصنيف من معلومات وحقائق ومعارف مُغَيَّبَة عن العقول والأَذهان ، ولم يُشَمَّ رائحتها ؛ ولم يتعرَّض لها أَحدٌ بنبرة شفة قَطُّ قبل هذا التَّصنيف ؛ مع أَنَّها ثابتةٌ في بيانات الوحي المتواترة بالتَّواتر العقلي ، بل واللَّفظي ، والمقطوع بها بالقطع العقلي ، بل والوحياني.

ثُمَّ إِنَّه ينبغي الإِلتفات : أَنَّ جلَّ هذه الجهود والتحقيقات في هذا التَّصنيف أَي ما يُقارب من (٩٩٪) جهود وتحقيقات خاصَّة لم تُعرض قبل هذا اليوم قَطُّ.

ومنه سبحانه وتعالىٰ نستمد العون والتَّوفيق ، وصلَّىٰ الله على مُحَمَّدٍ وأَهل بيته الغرِّ الميامين ، النُّجباء المُكْرَمين.

من جوار مرقد أَمير المؤمنين عليه السلام

الشَّيخ كامل بدر الحلفيّ

الثلاثاء/ ٢٠ مُحَرَّم/ ١٤٤٥هـ.

علم: (الحروف)

إِنَّ علم : (الحروف) علمٌ جمٌّ يشمل علوم شتَّىٰ ، بعضها غريبة وخفيَّة ومن الأَسرار ، كـ : علم : (الرمل) ، و(التَّنجيم) ، و(تعبير الرؤيا)، و(تأويل الأَحاديث). وبعضها الآخر ظاهر ومبذول ومنتشر ، كـ : علم : (النَّحو) ، و(الصرف) ، و(البلاغة) ، و(الاشتقاق).

وهناك نظريَّة لغويَّة مستفادة من بيانات الوحي الباهرة ؛ حاصلها : «إِنَّ الحرف في الأَصل عبارة عن اختزال مجموعة كلمات ، بل جمل وفصول ، بل كُتب، بل مجموعة براهين من علوم شتَّىٰ : عقليَّة ونقليَّة ولغوية» ؛ فالحرف الواحد : وعاء لمعانٍ ، وكتابٍ ، وكُتبٍ. فهو إِشارة رمزيَّة لمعنىٰ كان في الأَصل معانٍ مُتعدِّدةٍ ومُستقلَّةٍ بعضها عن الآخر.

وهذا ما يُوضِّح : نكتةٌ وفلسفةٌ من نكات وفلسفات الحروف المُقطَّعة

الواردة في القرآن الكريم.

وعليه : فعلىٰ الباحث والمُستنبِط إذا أَراد فتق معنىً الإلتفات إلى هذه النتفة اللَّطيفة ، والجوهرة الثَّمينة ؛ من أَنَّ طبيعة الحروف : معانٍ وكلماتٍ مُتعدِّدة.

وهذه القضيَّة ليست بتخيُّل ، ولا أَهازيج شعر ، ولا أَساطير خواطر ، بل ثابتة بالبرهان : (العقلي) ، و(النَّقلي) ، و(اللُّغوي) ، و(النحوي) ، و(الصَّرفي) ، و(البلاغي) و(الاشتقاقي). وقد نقَّح علماء أُصول فقه الإِماميَّة (أَعزَّهم الله) لاسيما الشَّيخ العراقي ﷺ الشيء الكثير مِنْ هذا المطلب.

ومنه تتَّضح : بيانات الوحي الواردة في المقام ، منها : ما دلَّ على أَنَّ كُلَّ القرآن الكريم في سورة الفاتحة ، والفاتحة في البسملة ، والبسملة في حرف الباء، ومعناه : أَنَّ حرفاً واحداً ـ وهو : (الباء) ـ يشتمل جملة القرآن الكريم وعلومه. لكن : علم ذلك عند أَهله : أَهل البيت ؛ سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت صلوات الله عليهم [١].

---

(١) سيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) في أَبواب الإِمامة الإِلٰهيَّة : أَنَّ عنوان ولفظ : (أَهل البيت عليهم السلام) يُطلق في بيانات الوحي على معانٍ مُتعدِّدة ، شاملة لسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، بل رأس هرمه وأَوَّل مصاديقه ومصاديق آية التَّطهير ، منها : (أَهل البيت الحرام) و(أَهل البيت المعمور في السَّماء الرَّابعة ، والَّذي نزل فيه جملة القرآن الكريم دفعة واحدة ، ليلة القدر على قلب سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله في تلك الطبقة) ، فتكون أَزواجه صلى الله عليه وآله خارجات منه موضوعاً وتخصُّصاً ، لا تخصيصاً ، كمورد النزول ، ومن ثَمَّ لا يُجَوَّز هذا العنوان بـ : (أَهل بيت النَّبيّ صلى الله عليه وآله) ؛ كيما يُتوَّهم دخول أَزواجه فيه ، وخروجه صلى الله عليه وآله منه ؛ لأَنَّ الشيء لا يُضاف إِلى نفسه. ←

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : « **لو شئتُ لأَوقرت لكم ثمانين بعيراً من معنىٰ: (الباء)** » (١) .

٢ـ ما رواه القندوزي الحنفي : « أَنَّ جميع أسرار الله (تعالىٰ) في الكتب السَّماويَّة ، وجميع ما في الكُتب السَّماويَّة في القرآن ، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة ، وجميع ما في البسملة في (باء) البسملة ، وجميع ما في (باء) البسملة في النقطة الَّتي هي تحت (الباء) ، قال الإِمام عليٌّ كرَّمَ الله وجهه : «**أَنا النقطة الَّتي هي تحت الباء**» (٢) .

ومعناه : بي كان ما كان ، وبي يكون ما يكون ، وهذا المعنىٰ يرجع إِليه جميع ما يُؤخذ من القرآن الكريم.

٣ـ بيانه صلوات الله عليه أَيضاً : « **أَنا النقطة أَنا الخطُّ ، أَنا الخطُّ أَنا النقطة، أَنا النقطة والخطُّ** » (٣) .

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ قد اتَّضحت. وسيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) في ذيل هذه المسألة تحقيق وبيان خاصّ بهذا البيان الوحياني الشَّريف وسابقه ؛

← **إِذنْ** : مرادنا من استعمال عنوان ولفظ : (أَهل البيت عليهم السلام) في هذا المورد وبقيَّة الموارد ما يشمل : (الأَربعة عشر معصوماً صلوات الله عليهم). فالتفت ، وليكن ذلك حاضراً في الذهن عند تلك الاستعمالات.

(١) لطائف المتن ، ١ : ١٧١.

(٢) ينابيع المودَّة ، ٢ : ١٩٥. تفسير البصائر ، ١/ ٢٤.

(٣) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ١٦٥.

تُكشف فيه ستار ونقاب بعض درر بحور حقائقهما الصَّاعدة المُتلاطمة. فانتظر هنيئة.

٤ـ بيانه صلوات الله عليه أَيضاً : « **العلم نقطة كثَّرها الجاهلون ، والألَف وحدة عرَّفها الرَّاسخون ، والباء مدَّة قطعها العارفون ، والجيم حفرة تأهلها الواصلون ، والدال درجة قدَّسها الصَّادقون** »[١] .

٥ـ ما ورد عن ابن عبَّاس ، قال : « أَخذ بيدي الإِمام عَلِيّ عليه السلام، في ليلةٍ مقمرةٍ ، فخرج بي إِلى البقيع بعد العشاء ، وقال : إِقرأ يا عبد الله ، فقرأت: «بسم الله الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْم»، فتكلَّم لي في أَسرار (الباء) الى بزوغ الفجر »[٢] .

٦ـ وعنه ، قال : « قال لي عليٌّ عليه السلام : إِذا صلَّيتَ العشاء الآخرة فالحقني إِلى الجَبَّان[٣] ، قال: فصلَّيتُ ولحقته ، وكانت ليلة مقمرة ، قال : فقال لي : ما تفسير (الألَف) من الحمد ؟ قال : فمَا علمتُ حرفاً منها أُجيبه ، قال : فتكلَّم في تفسيرها ساعة تامَّة ، قال : ثُمَّ قال لي : ما تفسير (اللام) من الحمد ؟ قلتُ: لا أَعلم ، فتكلَّم في تفسيرها ساعة ، ثُمَّ قال : ما تفسير (الحاء) من الحمد ؟ قال: فقلتُ : لا أَعلم ، فتكلَّم في تفسيرها ساعة تامَّة ، قال : ثُمَّ قال: **ما تفسير (الميم) مِن الحمد** ؟ إِلى أَنْ قال : ما تفسير (الدَّال) ؟ قلتُ : لا أَدري، فتكلَّم فيها إِلى أَنْ برق عمود الفجر ، فقال لي : قم يا أَبا العبَّاس إِلى منزلكَ ... فقمتُ وقد وعيتُ كُلَّ مَا قال ، ثُمَّ تفكَّرتُ فإِذا علمي بالقرآن في

---

(١) ينابيع المودَّة ، ٢ : ١٩٥.

(٢) المصدر نفسه : ٢١٤/ ح١٩.

(٣) الجَبَّان : تأتي بمعنىٰ : (المقبرة) و(الصحراء).

علم عَلِيٍّ عليه السلام كالقَرَارَةِ في الـمُثْعَنْجِرِ (١) » (٢) .

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ واضحة ، بعد الإلتفات إلى أَنَّ عنوان ولفظ: (السَّاعة) حينما يُطلق ويُستعمل في لغة العرب فليس المراد منه ما هومُتعارف في يومنا هذا ؛ فإِنَّه مصطلح حادث في العصور المُتأَخِّرة ؛ وبعد إكتشاف آلة السَّاعة ، وبالتالي يكون إستعماله على وفق المُصطلح الحادث ليس بشرعي ولا عرفي في عصر التَّشريع ولا لغوي ، وإِنَّما المراد منه : (الوقت) ، ومن ثَمَّ قد يكون زمانه ومصداقه أَكثر من (٦٠ دقيقة) أَو أَقل.

مثاله : ـ إِضافة لِـمَا تقدَّم ـ بيان أَمير المؤمنين صلوات الله عليه الوارد في حقِّ إِبليس (عليه اللَّعنة) : « ... فاعتبروا بما كان من فعل إِبليس ؛ إذ أَحبَطَ عمله الطَّويل ، وجهده الجهيد ، وكان قد عبد الله ستَّة آلاف سنةٍ ، لا يُدْرَىٰ أَمِنْ سِنِيّ الدُّنيا أَم سِنِيّ الآخرةِ ، عن كِبرِ ساعَةٍ واحدةٍ ... » (٣) .

مثالٌ آخر : ما ورد في بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ؛ في صحيحة منصور ابن حازم ، قال : «سألته عن ركعتي طواف الفريضة ، قال : لا تؤخِّرهما ساعة ، إِذا طفتَ فصلِّ» (٤) .

---

(١) القَرَارَة : (الغدير). أَو (قاع مستدير يجتمع فيه ماء المطر). أَو (ماء يصب في القدر بعد الطبخ لئلا يحترق). أَو (ما لصق بأسفل القدر من مرق أَو غيره). أَو (المكان المنخفض ؛ أَندفع إِليه الماء فاستقرَّ فيه).

المُثْعَنْجِر : البحر.

(٢) بحار الأَنوار ، ٨٩ : ١٠٥/ ح٨٣ .

(٣) نهج البلاغة / خ: ١٩٢ : ٣١٦.

(٤) وسائل الشيعة ، ١٣/ الباب : ٧٦ ، من أَبواب الطواف : ٤٣٥/ ح٥.

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ قد اتَّضحت ؛ فإنَّ المقصود من قوله عليه السلام : «**لا تؤخرهما ساعة**» : لا تؤخِّرهما وقتاً.

٦ـ بيان الإمام الباقر عليه السلام الوارد في بيان معنىٰ : الاسم الإلٰهي (الصَّمد) [١] ، قال : «... **لو وجدتُ لعلمي الَّذي آتاني الله (عزَّ وجلَّ) حَمَلَةً لنشرتُ التَّوحيد ، والإسلام ، والإيمان ، والدِّين ، والشَّريعة من الصَّمد...**» [٢] .

ودلالته واضحة أَيضاً.

و(الصَّمد) وإنْ كانت كلمة وليست بحرفٍ ، لكن مُثِّلَ بها لوحدة النكتة؛ وأَنَّ كلمات الوحي الإلٰهي كحروفه لها القابليَّة ، بل هي بالفعل بحار وحي موَّاجة لا نهاية لمعانيها وحقائقها ، أَبد الآباد ودهر الدُّهور ؛ ما دامت صادرةٌ من ساحة القدس الإلٰهية ؛ وأَفعال للذات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وإلَّا ـ أَي : لو كانت كلمات الوحي وحروفه متناهية ـ للزم (والعياذ بالله تعالىٰ) تناهي الذات المُقدَّسة ، فتأَمَّل جيِّداً.

---

(١) سيأتي (إنْ شاء الله تعالىٰ) في أَبواب التَّوحيد : باب الأَسماء والصفات الإلٰهيَّة ذكر لبعض معاني الاسم الإلٰهي : (الصمد) ، المشار إليها في بيانات الوحي ، منها :

١ـ إنَّه (سبحانه وتعالىٰ) لا خواء ولا نقص ، ولا جوف له.

٢ـ إنَّه لا يمكن لمخلوق قَطُّ ـ وإنْ كان ملحداً ومن أَهل الباطل ـ الصمود والتوجُّه واستمداد قوَّته وعطائه إلَّا منه (تبارك وتعالىٰ).

٣ـ نفس معنىٰ بيان قوله جلَّ قوله : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

٤ـ إنَّ نهاية اللقاء له (سبحانه).

(٢) بحار الأَنوار ، ٣ : ٢٢٥/ ح١٥.

ومعناه : أَنَّ طبيعة الحرف ـ كطبيعة الكلمة ـ لها القابليَّة على استيعاب معاني وحقائق لا حدَّ ولا نهاية لها.

وسيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) مزيد بيان عن هذه القضيَّة في البيان والدَّليل التَّالي.

٧ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : « ... **إِنِّي أَتكلَّم بالحرف الواحد فيه سبعون وجهاً ، إِنْ شئتُ أُحدِّث كذا ، وإِنْ شئتُ أُحدِّث كذا** » (١) .

ودلالته واضحة أَيضاً ، بعد الالتفات : أَنَّ ما أَخذه صلوات الله عليه من عددٍ ليس المراد منه خصوص السَّبعين ، وإِنَّما كناية عن مُطلق الكثرة ، وعدم التَّناهي ، كحال بيان قوله جلَّ شأنه : ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ (٢) ؛ فإِنَّ معنىٰ : (الحرف الواحد) الَّذي يتكلَّم به الإِمام عليه السلام بعدما كان وحيانيّاً كان مصداقاً لبيانات الوحي الدَّالَّة على عدم تناهي معاني وحقائق كلمات وحروف بيانات الوحي.

فانظر :

أَوَّلاً : بيان قوله تعالىٰ ذكره : ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾ (٣) .

بتقريب : أَنَّ معاني وحقائق حروف بيانات الوحي لو كانت متناهية

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٧ : ١١٩ ـ ١٢٠/ ح٦٤ .

(٢) التوبة : ٨٠ .

(٣) لقمان : ٢٧.

للزم تناهي معاني وحقائق كلمات بيانات الوحي ، لكنَّ الثابت بالبرهان العقلي والوحياني ، كصريح هذا البيان الشَّريف عدم محدوديَّتها وعدم تناهيها ، فتكون معاني وحقائق حروفها لا محدودة ولا متناهية أَيضاً.

ثانياً : بيان قوله جلَّ ذكره : ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (١) . ودلالته واضحة.

رجوع حقيقة جملة الأَسماء والصِّفات الإِلهيَّة إلى حرف فارد

ومن كُلِّ ما تقدَّم يتَّضح : ما سيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) في مبحث : (الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة) : أَنَّ كافَّة الأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة الفعليَّة تؤول إِلى اسمٍ وصفةٍ إِلٰهيَّة فعليَّة فاردة ، وهذا الاسم والصفة يؤول (٢) إِلى اسمٍ وصفةٍ إِلٰهيَّة ذاتيَّة واحدة ، وجميع الأَسمآء والصفات الإِلٰهيَّة الذاتيَّة تؤول إِلى اسم فاردٍ ، وهو : (هو) ، واصل (هو) : الهاء (٣) ، فعادت جميع

---

(١) النحل : ٩٦.

(٢) مرجع الضمير : (واقع الاسم والصفة) ؛ فإِنَّ حقيقتهما واحدة ، وسيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) في المباحث والمسائل التالية بيان ذلك فانتظر.

(٣) المستفاد من بيانات الوحي الإِلٰهي : أَنَّ مقام الاسم الإِلٰهي : (هو) ـ وهو : غيب مُطلق ـ أَسبق وأَعظم رتبة وهيمنة وفوقيَّة على معرفة الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة من مقامات بقيَّة الأَسماء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ ، ومن ثَمَّ قُدِّم عليها في عِدَّة مواضع من بيانات القرآن الكريم ، منها : سورة الإِخلاص ، ونهايات سورة الحشر.

ثُمَّ يأتي بعده مقام الاسم الإِلٰهي : (الله) ، ثُمَّ مقام : (الأَحد) و(الأَحديَّة) ـ خلافاً للعرفاء ؛ فإِنَّهم عكسوا وقدَّموا : الأَحد والأَحديَّة على اسم الله ـ ثُمَّ يأتي مقام : (الواحد) و(الواحديَّة). ←

الأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة إِلى حرف واحد [١] .

وهذا نظام قائم في باب الأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة ، ومعناه : الإِشتقاق [٢] .

خروج في الجملة عن صلب الموضوع

بحث في الأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة ، ومقامات وشؤون أَهل البيت عليهم السلام

تفسير لبيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «أَنا النقطة الَّتي هي تحت الباء»

ثُمَّ إِنَّ مُطلق الأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة مخلوقات مهولة [٣] ، غير

← ولعلَّ أَحد معاني الإِبهام في الاسم المستأثر (هو) : عدم تناهي تجلِّيات الذات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة في الأَفعال الإِلٰهيَّة.

إِذنْ : الاسم المستأثر (هو) اسم استأثر به الباري المُسمَّىٰ (تقدَّس ذكره) في باطن الغيب ، لا ظهور له ، ولا يظهر أَبداً لأَحدٍ من المخلوقات ، ومعناه : عدم التناهي في الأَسميَّة وعدم التناهي في البطن والبطون.

ومِنْ ثَمَّ ورد في بيانات الوحي : أَنَّ البَدَاء الأَعظم يحصل من هذا الإِسم الإِلٰهي ، ومنه كانت للذات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ربوبيَّة على الأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة ، وربوبيَّة على كافَّة العوالم والمخلوقات.

(١) **يجدر الالتفات** : أَنَّ التبعيض في الأَسماء أَو في الصفات الإِلٰهيَّة يؤدِّي لا محالة إِلى ثنويَّة وشرك وكفر خفي.

(٢) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّ التَّفسير العقلي لمبحث اشتقاق الأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة صعب جِدّاً.

(٣) قبل الدخول في صميم البحث ينبغي الإِلتفات إِلى الأُمور التَّالية:

الأَوَّل : أَنَّ مبحث الأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة دورة معارف ، بل من أَعقد معارف بيانات الوحي. ←

الثَّاني : أَنَّ كثير ما يتخيَّله المخلوق من شُبهات وتساؤلات وإشكالات على ساحة القدس الإلٰهيَّة ناشئة من عدم معرفته بباب الأَسماء والصِّفات الإلٰهيَّة، وهو باب خطير وحسَّاس ومهمّ جِدّاً في توطيد صلة المخلوق بخالقه (جلَّ قدسه) ، وله تأثير بالغ في المعرفة الإلٰهيَّة ، فاليهود ـ مثلاً ـ مع إعتقادهم بالله (عزَّ وجلَّ) ، لكن نتيجة عدم وعيهم ومعرفتهم بالذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، والأَسماء والصِّفات الإلٰهيَّة أَعتقدوا (والعياذ بالله تعالىٰ) ببخله (سبحانه وتعالىٰ) وقالوا : ﴿**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ [المائدة : ٦٤].

الثَّالث : أَنَّ حقيقة الأَسماء والصفات الإلٰهيَّة ، بل وكذا حقيقة القرآن الكريم والمعارف الإلٰهيَّة لاتكمن بوجوداتها الإعتباريَّة ـ الصوتيَّة والكتبيَّة ـ بل ولا بمعانيها الذهنية ، ولا ببحور معانيها، فإنَّ هذه الوجودات وإنْ كانت لها قدسية وشعشعانيَّة ونورانيَّة عظيمة جِدّاً ، ولها آثار طلسميَّة عجيبة وغريبة وردت في بيانات الوحي ، لكن حقائقها تكمن في عوالم وبحور صاعدة ، تُهيمن على ما دونها ، وتتصرَّف بها تصرُّف اللطيف في الأَغلظ.

وبالجملة : هناك قاعدة منهجيَّة مطَّردة ، وردت في بيانات الوحي المتواترة ، تأتي في كافَّة أَبواب المعارف الإلٰهيَّة ، لا يمكن للباحث في أَبواب المعارف ، وفي جميع خطاه البحثيَّة تخطِّيها والإعراض أَو الغفلة عنها أَو نسيانها أَو تناسيها ، وهي : «أَنَّ كُلَّ عنوانٍ معرفيٍّ ورد في أَبواب المعارف الإلٰهيَّة لابُدَّ أَن تكون له عينيَّة تَحَقُّقيَّة ، وحقيقة خارجيَّة تكوينيَّة ثابتة في العوالم الصَّاعدة».

ومِنْ ثَمَّ لا يبحث أَصحاب المعارف عن الأَصوات ، ولا عن النقوش ؛ لكونها أُموراً إعتباريَّة ، بل ولا عن الوجودات الذهنيَّة فحسب ؛ لأَنَّها ليست هي الغاية ، وإنَّما يبحثون عن الواقعيَّات الخارجيَّة والعينيَّات التَّحقُّقيَّة.

وإلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها:

بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : «... **هو الرَّبُّ ، وهو المعبودُ وهو اللَّـهُ ، وليس قولي : اللَّـه إثبات هذه الحروف : أَلِفٍ ولآمٍ وهَاءٍ ، ولا راءٍ ، ولا باءٍ ، ولكن ارْجِعْ إلى مَعْنَىٰ ، وشيءٍ خالق الأَشياء وصانِعِهَا ، ونعت هذه الحروف ، وهو المعْنَىٰ ، سُمِّيَ به اللَّـهُ والرَّحْمٰنُ والرَّحيم والعزيز ، وأَشباه ذلك من أَسمائه ، وهو المعبودُ جلَّ وعزَّ**». أُصول الكافي ، ١ : ٦٠/ ح٦.

وهذا بمثابة جرس وإيقاظ علمي ، وصحوة علميَّة تُوهِّج أَنوار البصيرة.

← **إِذَنْ** : أَبواب المعارف قائمة على الحقائق التَّكوينيَّة ، فبيئتها وموضوعها : (الحقائق).
بخلاف أَبواب فقه الفروع ؛ فإِنَّها قائمة على الوجودات الرَّمزيَّة الإِعتباريَّة في دار الدُّنيا.
وبعبارة أُخرىٰ : أَنَّ موضوع فقه الفروع هو : (الشَّريعة) ، والمراد منها : مبدأ الإِنطلاق ، وهو يتحقَّق بالإِعتبار.
ثُمَّ إِنَّ الحقائق على مراتب وطبقات ودرجات جليَّة وخفيَّة ، والجليَّة كالخفيَّة على مراتب وطبقات ودرجات لا متناهية ، بل وعلى أَلوان وأَثواب وأَنماط وأَنواع وأُطر ولغات.
وعليه : فلا يكفي المخلوق لا سيما الباحث التَّعَرُّف على طبقة منها ، بل لا بُدَّ أَنْ يسير سيراً لا متناهياً ، دؤوباً ودائماً.
ومِنْ ثَمَّ كانت جملة العلوم لغات للحقيقة ، فلذا يمكن إِقامة البراهين والبيانات العلميَّة على المعارف الحقَّة الإِلٰهيَّة ـ كالواردة في أَبواب : التَّوحيد ، والنُّبُوَّة ، والإِمامة ، والمعاد ـ في كُلِّ علمٍ من العلوم وإِنْ كانت علوم تجريبيَّة ؛ فيمكن البرهنة على المعارف الحقَّة بلغة علم : الفيزياء ، والكيمياء ، وعلم : الإِجتماع ، والقانون والإِدارة وهلمَّ جرّاً.
وهذا ما يوضِّح : نكتة وفلسفة تعدُّد معاجز الأَنبياء عليهم السلام؛ فإِنَّ البرهان بعدما كان لمعان غيب فلا يمكن أَنْ يكون مختصّاً بالبرهان العقلي ـ خلافاً لمنهج الفلاسفة والمُتكلِّمين ـ بل يمكن إِقامته بالحسِّ والخيال وبقيَّة العلوم والفنون وقوىٰ النَّفس ، ومن ثَمَّ نظرة السحرة للمعان غيب القدرة الإِلٰهيَّة في فنِّ تبديل عصا النَّبيّ موسىٰ عليه السلام الغيبي دعتهم أَنْ يكونوا أَوَّل المؤمنين ؛ مع أَنَّه برهان من عالم الفنّ والخيال.
إِذِنْ : الوصول إِلى الحقيقة لا ينحصر في نمط مُعَيَّن ، بل له أَنماط وأَلوان وأَنواع وطبقات مُختلفة.
الرَّابع : أَنَّ مطلق الأَسماء والصِّفات الإِلٰهيَّة ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ـ مخلوقات إِلٰهيَّة ـ كما تقدَّم ـ ، لكن ليس لها حدود وتناهي وحدوث ولون خلقي، وإِنَّما حدود وتناهي وحدوث في الحُجب والسدنة الربوبيَّة ؛ فإِنَّ اسم الرحمٰن غير اسم الرَّحيم ، وهما غير اسم القادر ، وهذه الثلاثة غير اسم الأَوَّل ، وهذه الأَربعة غير اسم الآخر ، وهلمَّ جرّاً.
وبعبارة أُخرىٰ : أَنَّه حينما تقول : (رحمٰن) لا تستغني بوصفه عن اسم (الرَّحيم) ؛ فكمال الرحمٰن كاسمٍ ووصفٍ لا ينطوي على كمال الرَّحيم . وعندما تقول : (أَحد) و (واحد) فكمال كُلِّ واحدٍ ←

منهما لا ينطوي على كمال الآخر ، بل ولا ينطوي على كمال بقيَّة الأَسماء الإِلٰهيَّة ؛ كـ : اسم : (العَالِم) و(القادر).

وهذه حدود ونهايات ومغايرة وإِنْ لم تكن حدود ونهايات ومغايرة خلقيَّة ؛ لكنَّها كاشفة عن حدوث وتناهي خفيٍّ ؛ وحدود ومغايرة خفيَّة ؛ مُنزَّه عنها الباري ـ المُسمَّىٰ ـ (تقدَّس ذكره).

إِذَنْ : مُطلَق الأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ـ وإِنْ كانت لا محدودة ولا متناهية بلحاظ حقائقها وما تحتها من جملة العوالم وسائر المخلوقات ، لكنَّه إِذا قوبل بعضها بالآخر كانت محدودة ومتناهية ، فالاسم الإِلٰهي (الأَوَّل) وإِنْ كان لا محدوداً ولا متناهياً بلحاظ حقيقته ، لكنَّه إِذا قوبل بالاسم الإِلٰهي (الآخر) صار محدوداً ومتناهياً ، لكن هذه ليست حدود وتناهي خلقي ، وإِنَّما حدود وتناهي الشؤون الإِلٰهيَّة . ويُعبِّر أَهل المعرفة عن هذه القضيَّة بـ: «دولة الأَسماء» ؛ فإِنَّ لكلِّ اسمٍ إِلٰهيٍّ دولته الخاصَّة به . وهذا التعبير مُستفاد من بيانات الوحي الإِلٰهي ، منها:

١ـ بيان قوله تعالىٰ : ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمٰن : ٢٩].

٢ـ بيان دعاء الإِفتتاح للحُجَّة ابن الحسن عجَّل الله تعالىٰ فرجه : «... **وَاَيْقَنْتُ اَنَّكَ اَنْتَ اَرْحَمُ الرّاحِمينَ فِي مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَاَشَدُّ الْمُعاقِبينَ فِي مَوْضِعِ النَّكالِ وَالنَّقِمَةِ، وَاَعْظَمُ الْمُتَجَبِّرينَ فِي مَوْضِعِ الْكِبْرِياءِ وَالْعَظَمَةِ**...». بحار الأَنوار ، ٩٤ : ٣٣٧.

ومعناه : أَنَّ كمال الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة أَعظم وفوق هذه الشؤون والأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة.

الخامس : أَنَّ لكثير من الأُمور وجودين : أَحدهما : حقيقي ، والآخر : مجازي عقلي ، والمجاز العقلي يدور مدار كيفيَّة الإِستعمال.

ثُمَّ إِنَّ الباحث في أَبواب المعارف لا يهمُّه كثيراً التَّمييز بين الحقيقة اللغويَّة والمجاز العقلي ؛ لأَنَّ دأَب الباحث في أَبواب المعارف التحرِّي عن الحقائق العقليَّة والتَّكوينيَّة ، دون المجازات العقليَّة.

إِذَنْ : البحث في علوم المعارف ينصبُّ أَوَّلاً وبالذَّات على الحقائق العقليَّة ، خلافاً لعلم (الأَخلاق) وعلم (النَّفس والروح) ؛ فإِنَّهما علمان إِعتباريان ، نعم يُبحث في نهايتهما عن الحقائق التَّكوينيَّة . وخلافاً لعلم (السياسة) وعلم (الإِجتماع) والعلوم (الإِنسانيَّة) ؛ فإِنَّها علوم إِعتباريَّة.

المسَمَّىٰ والموصوف بها ؛ (صاحب الذات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة) ، داخلة في ما تحتها من جملة العوالم والمخلوقات[١] دخول اللطيف في الأَغلظ ؛ لا بالممازجة والمزاولة ، وخارجة عنها خروج اللطيف عن الأَغلظ ؛ لا بالمفارقة والمزايلة ، ومُهيمنة عليها ، وتتصرَّف فيها.

مثاله : اسم : (اللَّـه) ؛ فإنَّه مخلوق مهول ، مهيمن على ما دونه من جملة العوالم وطُرٌّ المخلوقات ، داخل فيها ، لكن لا بالممازجة والمزاولة ، وخارج عنها، لكن لا بالمفارقة والمزايلة ، وهو من مخلوقات عَالَم السرمد والأَزل والأَبد؛ عَالَم الحضرة الربوبيَّة [٢] ؛ عَالَم الأَسماء والصفات الإلٰهيَّة ، والمُعَبَّر

← **لكن** : هذا لا يعني عدم تأثير الإعتباريَّات في الحقائق التَّكوينيَّة ، لا سيما على المبنىٰ المختار القائل: أَنَّ الإعتبار الصّادق : إدراك تكوينيّ مبهم ومن بُعد ، في قبال العلوم التَّكوينيَّة التَّفصيليَّة؛ فإنَّها تفصيل للحقائق.

وعليه : فتندرج ـ بشكل واضح ـ العلوم الإعتباريَّة في بحوث الحقائق التَّكوينيَّة.

السَّادس : أَنَّ استبداد الباحث في أَبواب المعارف والعقائد بالأَدلَّة العقليَّة من دون الإستعانة ببيانات الوحي الإلٰهي يجعله في عرضة ومعرض الهلاك والخطر الدائم ؛ فإنَّ العقل وقدرته لَـمَّا كانا محدودين بلحاظ ما فوقهما فقد تَـجُـرَّاه إلى إعتقادات فاسدة وكاسدة وباطلة يخلد بسببها (والعياذ بالله تعالىٰ) في نار جهنَّم وبئس المصير.

(١) المستفاد من بيانات الوحي : عدم انحصار المخلوقات الإلٰهيَّة (الحيَّة الشاعرة ، الناطقة العاقلة) بالمخلوقات الثلاثة ـ الإنس والجنّ والملائكة ـ بل هي إلى ما شاء الله تعالىٰ ، موجودة في السماوات والأَرضين ، وفي فضائنا ونشأتنا هذه ، مخفيَّة على كثير من المخلوقات ، منها الطبقات النَّازلة من الملائكة.

(٢) معنىٰ الحضرة الرُّبوبيَّة : ذلك العَالَم الحاوي على مخلوقات مُكرَّمة ، لا يُشمُّ منها رائحة المخلوقيَّة، والخالصة من شائبة الأَنا والفرعونيَّة ، والفانية فناء حكاية في ذيها : (الذات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة). ←

عنه في بيانات الوحي بعنوان : (عنده) ، وهو غير المُسَمَّىٰ بـ : (اسم اللَّـه) ؛ صاحب الذات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، فإنَّه (تقدَّست أسماؤه وعظمت آلاؤه) وراء وفوق ذلك ، ومهيمن على سائر العوالم وكافَّة المخلوقات ، منها: (اسم اللَّـه)، وداخل فيها وفيه دخول اللطيف في الأَغلظ ؛ لا بالممازجة والمزاولة ، وخارج عنها وعنه خروج اللطيف عن الأَغلظ ؛ لا بالمفارقة والمزايلة .

وعلى هذا قس صفة : (الأُلوهيَّة) ؛ فإنَّها مخلوق مهول من عَالَمَ السرمد والأَزل والأَبد ؛ عَالَمَ الأَسماء والصفات الإلٰهيَّة أَيضاً ، مهيمنة على ما دونها من مطلق العوالم وجميع المخلوقات هيمنة اللطيف على الأَغلظ ، وهي غير الموصوف بها ؛ صاحب الذات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة.

إذَنْ : اسم اللَّـه وصفته مخلوقان بنحو التَّجلِّي والإشتقاق التَّكوينيّ للمُسَمَّىٰ والموصوف بهما ؛ صاحب : (الذات الإلٰهيَّة المُقدَّسة) ، وهو (جلَّ قدسه) وراء وفوق جملة عَالَمَ الأَسماء والصفات الإلٰهيَّة ـ ذاتيَّة كانت أَم فعليَّة ـ مملوكة له ، ومهيمن عليها هيمنة اللَّطيف على الأَغلظ [١] .

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي ، منها :

← ومخلوقات هذا العالم : طبقات حقائق أَهل البيت صلوات الله عليهم الصَّاعدة ، والَّتي لا يُرىٰ فيها ماهيَّة : (مُحمَّد ، وعَلِيّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين...) ، بل عكوسات وتجليَّات ربوبيَّة.

(١) **ينبغي الالتفات** : أَنَّ الخلقة في العوالم الصَّاعدة ؛ أَي : عَالَمَ الـمُجرَّدات التامَّة تختلف عن العوالم النَّازلة ؛ أَي : العوالم الجسمانيَّة ؛ فإنَّها في تلك العوالم لا تكون إلَّا بنحو الظهور والتجلِّي والإشتقاق . نظيره : الصورة المرآتيَّة.

١ـ بيان قوله عظمت آلاؤه : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (١) .

ودلالته واضحة ؛ فإنَّـه جـيء بـ : (لام الْـمُلك) ، الداخلة على : (هو) ـ (له) ـ ، والمقصود منه : المُسمَّىٰ (تقدَّست أسماؤه) ؛ صاحب الذات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة (٢) ، وهو (عزَّ ذكره) مالك لجملة أَسمائه وصفاته (٣) ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ـ ، ومن البيِّن والواضح : أَنَّ المالك غير المملوك ، وما عدا المُسَمَّىٰ (سبحانه وتعالىٰ) ـ صاحب الذات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ـ مخلوق من مخلوقاته، وإلَّا لكانت (والعياذ بالله تعالىٰ) آلهة.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : «... **والاسم غير المُسَمَّىٰ ... لِلَّـه تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ اسماً ، فلو كان الاسم هو المُسَمَّىٰ لكان كُلُّ اسمٍ منها إلٰها ...**» (٤) .

---

(١) الإسراء : ١١٠.

(٢) يجدر بالباحث وغيره لاسيما في أَبواب المعارف الإلٰهيَّة ، وتفادياً من حصول الخلط في المباحث والمعارف الإلتفات إلى إطلاقات واستعمالات الأَسماء الإلٰهيَّة الواردة في بيانات الوحي ؛ فإنَّه تارة يُراد منها : المُسَمَّىٰ (جلَّ شأنه) صاحب الذات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وأُخرىٰ يُراد منها : الاسم الإلٰهي. وهو مخلوق مهول ، وتشخيص ذلك يعتمد على القرائن ، كقرينة السياق.

(٣) **ينبغي الإلتفات** : أَنَّ هذا البيان الشَّريف وإن ذكر الأَسماء الإلٰهيَّة فحسب ، لكنَّه شامل أَيضاً لسائر الصِّفات الإلٰهيَّة ؛ **بدليل** : أَنَّه لَـمَّا كانت الصفات الإلٰهيَّة وما يسانخها من الأَسمآء الإلٰهيَّة مُتفقين حقيقة ، ومختلفين بالإعتبار واللحاظ الذهني ـ كحال المصدر واسمه على رأي مشهور الأُصوليِّين ـ كما أَصحرت بذلك بيانات الوحي ، وسيأتي (إنْ شاء الله تعالىٰ) عرضها في محلِّها كان ذكر أَحدهما مغنٍ عن الآخر ، ومن باب : (إذا أَجتمعا أَفترقا ، وإذا افترقا اتَّفقا).

(٤) أُصول الكافي ، ١ : ٣٨ ـ باب : معاني الأَسمآء واشتقاقها : ٨٠/ ح٢.

وعليه : تكون جميع الأَسمآء والصفات الإِلٰهيَّة ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ـ مخلوقات إِلٰهيَّة ، وتجلِّيات وظهورات وآيات للذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة، يعود واقعها إِلى حروفٍ ، بل حرفٍ فاردٍ ، وهو : (اللَّام) ، أَي : لام الملك ، وأُضيفت إِلى أَعظم اسم إِلٰهي : (هو) ، وهو الجامع لجملة الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة.

٢ـ بيانه جلَّت آلاؤه : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١) .

ودلالته قد اتَّضحت من سابقه.

نعم هناك فارقٌ واحدٌ ، وهو إِضافة (اللام) ؛ فإِنَّها في هذا البيان الشريف أُضيفت لاسم الجلالة : (اللَّـه) ، بخلاف البيان السَّابق ؛ فإِنَّها أُضيفت للإِسم الإِلٰهي : (هو) .

٣ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**إِن اللَّـه (تبارك وتعالىٰ) خلق اسماً بالحروف غير منعوت ، وباللَّفظ غَيرَ مُنْطَقٍ ، وبالشَّخصِ غَيْرَ مُـجَسَّدٍ ، وبالتَّشبيه غير موصوفٍ ... مُبَعَّدٌ عنه الحُدُودُ ، محجوبٌ عنه حِسُّ كُلِّ مُتَوَهِّم، مُسْتَتِرٌ غَيْرُ مَستُورٍ ، فجعله كلمةً تامَّةً على أربعة أَجزاءٍ معاً ، ليس منها واحدٌ قبل الآخر ، فأظهَرَ منها ثلاثة أَسماءٍ ؛ لفاقةِ الخلقِ إِليها ، وحَجَبَ واحداً منها، وهو الاسمُ المكنُونُ المُخزُونُ بهذه الأَسماء الثلاثة الَّتي ظَهَرَت** (٢) **، فالظاهِرُ هو: (اللَّـه ، وتبارك ، وسبحان)** (٣) **، ولكلِّ اسمٍ مِنْ**

---

(١) الأعراف : ١٨٠.

(٢) في الكافي : (فهذه الأَسمآء الَّتي ظهرت).

(٣) في التوحيد المطبوع والكافي : (هو الله تبارك وتعالىٰ).

هذه أَربعة أَركان ، فذلك اثني عشر رُكناً ، ثُمَّ خلق لكلِّ ركنٍ منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إِليها ، (فهو الرحمٰن ، الرَّحيم ، الملك ، القدوس ...) فهذه الأَسماءُ وما كان من الأَسمآء الحُسنىٰ حتَّىٰ تَتِمَّ ثلاثَ مائةٍ وستينَ اسماً فهي نسبةٌ لهذه الأَسماء الثلاثة ، وهذه الأَسمآءُ الثلاثةُ أَركانٌ ، وَحَجَبَ الاسمَ الواحد المَكنُونَ المَخزُونَ بهذه الأَسمآءِ الثلاثةِ ، وذلك قوله عزَّ وجلَّ : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (١) .

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**اسم اللَّـه غير اللَّـه ...**» (٢) .

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... والاسمُ غيرُ المُسَمَّىٰ ... إِنَّ للَّـه تسعةً وتسعين اسماً ، فلو كان الاسمُ هو المُسَمَّىٰ لكان كُلُّ اسمٍ منها إِلٰهاً ، ولكنَّ اللَّـهَ معنىً يُدَلُّ عليه بهذه الأَسماء ، وكُلُّها غيْرُهُ ...**» (٣) .

ودلالة الجميع واضحة على أَنَّ الأَسمآء الإِلٰهيَّة ـ ذاتيَّة كانت أَم فعليَّة ـ مخلوقات من عَالَم الأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة ، وجميعها غير المُسَمَّىٰ بها ؛ صاحب: الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وهو (تقدَّس ذكره) : فوقها ، ومهيمن عليها ، ومُمدِّها ، وغني عنها ، وهي مفتقرةٌ إِليه جلَّ قدسه ، ولا إِستقلاليَّة لها عنه ولو بمقدار مثال حبَّة من خردلٍ أَزلاً وأَبداً ، فحقيقتها نظير: حقيقة الحرف؛ والصورة المرآتيَّة ؛ فإِنَّها قائمة بغيرها ، وصاحبة وجود طفيليّ ، كبقيَّة المخلوقات من هذه الجهة.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤ : ١٦٦/ ح٨. أُصول الكافي ، ١ : ٧٨/ ح١. مع اختلاف يسير.

(٢) بحار الأَنوار : ١٦٠/ ح٦.

(٣) أُصول الكافي ، ١ : ٦٢/ ح٢.

وينبغي الإِلتفات: أَنَّ لفظ وعنوان: (المعنىٰ) يُستعمل ويُطلق ويُراد به:

تارة : الصُّورة الذهنيَّة المقصودة.

وأُخرىٰ : الحقيقة والواقعيَّة الخارجيَّة المقصودة ، من باب : عنيت الشيء، أَي : قصدَّته . وهذا النحو من الإِستعمال هو مراد الإِمام صلوات الله عليه بقوله : «**ولكنَّ اللَّـه**» أَي : المُسَمَّىٰ «معنىً» أَي : حقيقة وواقعيَّة خارجيَّة يُعنىٰ ويُقصد ، و «**يُدَلُّ عليه بهذه الأَسمآء**».

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام صفات وأَسمآء إِلهيَّة

رأس هرم طبقات حقائقهم عليهم السلام وراء الصفات والأَسمآء الحسنى

وحيث إِنَّ الضرورة الدينيَّة والشَّرعيَّة ؛ وعند [١] جميع فرق المسلمين ، وبالبيانات الوحيانيَّة البالغة فوق التَّواتر : اللفظي والعقلي والوحياني قائمة على أَنَّ أَشرف ما خلق اللَّـه (عزَّ وجلَّ) على الإِطلاق : سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت الأَطهار صلوات الله عليهم ؛ كانت الأَسمآء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ أَحد طبقات حقائقهم صلوات الله عليهم الصَّاعدة ؛ والمنتفية فيها ماهيَّة : (مُـحَمَّد، وَعَلِيّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين) ولا يُرىٰ فيها إِلَّا أَسمآء إِلٰهيَّة : (حميد ، وأَعلىٰ ، وفاطر ، وقديم الإِحسان ، ومحسن) ، لكن : رأس هرم طبقات حقائقهم عليهم السلام الصَّاعدة وراء وفوق ذلك ، وهذه الأَسمآء

---

(١) هذا عطف على كلمة (الدينيَّة) ، فتكون العبارة كالتالي : (وحيث إِنَّ الضرورة عند جميع فرق المسلمين ... قائمة على أَنَّ أَشرف ...).

الإِلٰهيَّة طبقات لحقائقهم عليهم السلام الصَّاعدة ، لكنَّها ليست هي رأس الهرم ومنتهىٰ طبقات حقائقهم صلوات الله عليهم ، ومن ثَمَّ تكون تلك الطبقات[١] مَـمَرّ الفيض الإِلٰهي لجملة العوالم وسائر المخلوقات ، منها : الصفات والأَسماء الإِلٰهيَّة وبقيَّة طبقات حقائقهم صلوات الله عليهم ، ومهيمنة عليها ، وداخلة فيها دخول اللطيف في الأَغلظ ، وخارجة عنها خروج اللطيف من الأَغلظ ، وجميع ما تحت تلك الطبقات من كافَّة عوالم الخلقة ومخلوقاتها اللامتناهية منها : الأَسمآء والصفات الإِلٰهيَّة ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ـ سوآء لها من حيث القرب والبعد ، ونقطة واحدة في بحرها المتلاطم لا تتبعَّض ، ولا يمكنها أَنْ تستعين إِلَّا بها ، شعرت بذلك تلك العوالم والمخلوقات أَم لا ، ولا يُمكنها أَنْ تصل إِلى ساحة القدس الإِلٰهيَّة إِلَّا عن طريقها ليس إِلَّا.

وهذا أَحد معاني بيان أَمير المؤمنين صلوات الله عليه المُتقدِّم : «**أَنَا النقطة الَّتي هي تحت الباء**» وبيانه عليه السلام : «**أَنا النقطة أَنا الخطُّ ، أَنا الخطُّ أَنا النقطة ، أَنا النقطة والخطُّ**».

تفصيل وتوضيح أَكثر لِمَا تقدَّم

وتفصيل ذلك يتمُّ من خلال البيان التَّالي المُركَّب من المُقدِّمات الثمان التَّالية :

---

(١) أَي : رأس هرم طبقات حقائق أَهل البيت صلوات الله عليهم الصَّاعدة.

المُقدِّمة الأُولى :

الصفات والأسمآء الإلهيَّة مخلوقات إلهيَّة

إِنَّ الصفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة الحُسنىٰ ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ـ مخلوقات مُقَدَّسة ؛ من عَالَمَ السرمد والأَزل والأَبد ؛ عَالَمَ الصفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ، والمُعبَّر عنه في بيانات الوحي الإِلٰهي بعنوان : (عنده) .

وهذا ما تقدَّمت الإِشارة إِليه ، وصرحت به بيانات الوحي المُتقدِّمة وغيرها ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**إِنَّ اللَّـه (تبارك وتعالىٰ) خلق اسماً بالحروف غَيْرَ منعوتٍ ، وباللَّفظ غَيْرَ مُنطقٍ ، وبالشَّخص غَيْرَ مُـجَسَّدٍ ، وبالتشبيه غير موصوفٍ ... مُبَعَّدٌ عنه الحُدُودُ ، محجوبٌ عنه حِسنٌّ كُلِّ مُتَوَهِّمٍ ، مُسْتَتِرٌ غَيْرُ مَستُورٍ فجعله كلمةً تامَّةً على أَربعة أَجزاءٍ معاً ، ليس منها واحدٌ قبل الآخر ، فأَظهر منها ثلاثة أَسمآءٍ ... وحَجَبَ واحداً منها ، وهو : الاسمُ المكنُونُ المَخزُون بهذه الأَسمآء الثلاثة الَّتي ظَهَرَت ، فالظاهر هو : (اللَّـه ، وتبارك ، وسبحان (خ . ل : وتعالىٰ)) ...**».

ودلالته واضحة على أَنَّ جملة الأَسمآء الإِلٰهيَّة مخلوقة.

المُقدِّمة الثانية :

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة صفات وأَسماء إِلهيَّة

إِنَّ الصفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة الحُسنىٰ ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ـ هي

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصاعدة ، المنتفية فيها ماهيَّة : (مُـحَمَّد ، وعَلِيّ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ...) ، لتصبح أَسمآء إِلٰهيَّة : (حميد ، وأَعلىٰ، وفاطر ، وقديم الإِحسان ، ومُحسن ...) ، لا يشوبها شوب الأَنا والمخلوقيَّة ، ولا تُري نفسها ، بل محكيِّها : (المُسَمَّىٰ (العزيز الجبَّار) ؛ صاحب الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسة) ، نظيره : (المرآة شديدة الصقل والصفات والحكاية) ، و(الصرح) المُشار إِليه في بيان قوله (جلَّ جلاله) المُقتصّ لخبر ما جرىٰ بين النَّبيّ سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ : ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) .

وهذا غزل وترنُّم جماليّ توحيديّ ، وبرهان شهوديّ ساقته يد السَّاحة الإِلٰهيَّة المُقَدَّسة ، فإِنَّه لشدَّة صفاء الصرح ، وتمرُّد ذاته ومحوها وفنائها في الـحكاية (٢) لم يُرِ نفسه ، بل محكيِّه ؛ اللُّجَّـة ـ الـماء الغزير ـ وانعكست

---

(١) النمل : ٤٤ .

(٢) لعنوان : (المحو) و (الفناء) معانٍ :

أَحدها: الحكاية ؛ ومن ثَمَّ لا يوجد في المخلوق الحاكي رائحة المخلوقيَّة ، وجبل الأَنانية والفرعونيَّة.

ثانيها : طفيليٌّ في الوجود.

وهذا المعنىٰ كالأَوَّل مراد في المقام.

ثالثها : أَنَّ الحاكي عين المحكي.

وبطلان هذا المعنىٰ وفساده من الواضحات ؛ لأَنَّه يعني : (الوحدة الشَّخصيَّة). وسيأتي (إِنّ شاء الله تعالىٰ) بيانها في محلِّها وبيان أَدلَّة فسادها.

فيـه [١] جميع صفاتها وشؤونها وأَحوالها [٢]، ولَـمَّا أُخبرت بواقع الحال آمنت باللَّـه من دون مُهلة ونظر وتردُّد ؛ لإلتقاطها إِشارة معرفيَّة لمعنىٰ تجلِّيات الذات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة في المخلوقات المُكرَّمة [٣].

وإِلى كُلِّ هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً : بيان أَمير المؤمنين صلوات الله عليه : «... **نحن الاسم المخزون**

---

(١) مرجع الضمير : (الصرح).

(٢) مرجع الضمير في : (صفاتها) و(شؤونها) و(أَحوالها) : اللُّجَّة. فتكون العبارة كالتالي: (وانعكست في الصرح جميع صفات اللُّجَّة ، وشؤون اللُّجَّة ، وأَحوال اللُّجَّة).

(٣) هناك قضيَّة وآليَّة معرفيَّة مُهمَّة جدّاً ، أَشارت إِليها بيانات الوحي ، ينبغي صرف النظر إِليها ، حاصلها : أَنَّ النَّبيّ سليمان عليه السلام استخدم ووظَّف الجمال وعلوم الفنون المُحلَّلة لهداية المخلوقات إِلى الإِيمان باللَّـه (عزَّوجلَّ) وتوحيده.

وهذا أَمر بديع ، وأَصل قرآنيٌّ مُشرِّع ومجوِّز لاستخدام واستعمال الجمال والفنون المُحلَّلة في الدعوىٰ الإِلٰهيَّة.

ومعناه : أَن نشر الدعوىٰ إِلى الحقِّ لا يتوقَّف على البرهان العقلي والفكر الجاف ، بل يمكن من خلال توسُّط الجمال وعلوم الفنون المُحلَّلة : تسويق أَدقَّ المعاني وأَصعبها وأَعقدها إِلى نفوس المخلوقات وأَذهانها وعقولها ، وإِيجاد الجذبات الروحيَّة والمعنويَّة في دخيلة ذواتها. ولعلَّ بلقيس لو أُقيم لها البرهان العقلي لم تستجب له كما استجابت للغة الفنّ في حادثة الصرح.

وهذا ما نفتقده بشكل استراتيجي كبير في الدعوىٰ إِلى نور الإِيمان وهداية الثقلين ، فنحن لم نستخدم الجمال وعلوم الفنِّ وما شاكلها في جانب الخير ؛ كما استخدمه العدو في جانب الشرّ ونشر الرذيلة.

وكثير من البلدان الإِسلاميَّة كانت شعوبها قبل فترة موالية لأَهل البيت صلوات الله عليهم ، لكن قلبت الوهابيَّة بفنِّ قراءة القرآن الكريم إِعتقادهم وولائهم لأَهل البيت عليهم السلام إِلى عداءٍ لهم صلوات الله عليهم.

المكنون ، نحن الأَسماء الحسنىٰ الَّتي إِذا سُئل الله عزَّوجلَّ بها أَجاب...» (١) .

ثانياً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... وأَنا أَسماء اللَّـه الحسنىٰ ...**» (٢) .

ثالثاً : بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «**... عرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا ، نحن الأَسماء الحسنىٰ الَّتي لا يقبل اللَّـه من العباد عملاً إِلَّا بمعرفتنا ...**» (٣) .

رابعاً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**نحن واللَّـه الأَسماء الحسنىٰ الَّذي لا يُقبل من أَحدٍ إِلَّا بمعرفتنا ، قال: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾** (٤) » (٥) .

خامساً : بيان الإِمام الرضا عليه السلام : «**إِذا نزلت بكم شدَّة فاستعينوا بنا على اللَّـه ، وهو قول اللَّـه : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾** (٦) » (٧) .

ودلالة الجميع واضحة.

ومن كُلِّ هذا تتَّضح : كثير من بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان خطبة أَمير المؤمنين عليه السلام في جامع البصرة : «**معاشر المؤمنين والمسلمين ، إِنَّ اللَّـه عزَّوجلَّ أَثنىٰ على نفسه فقال: «هو الأَوَّل ... والآخر ... والظَّاهر ... والباطن» سلوني قبل أَنْ تفقدوني ؛ فأنا الأَوَّل وأنا الآخر ، إِلى**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٢٨/ ح٥.

(٢) المصدر نفسه ، ٥٣ : ٤٦ ـ ٤٩/ ح٢٠.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٤ـ ٥/ ح٧. المحتضر : ١٢٩.

(٤) الأعراف : ١٨٠.

(٥) بحار الأَنوار ، ٩١ : ٦/ ح٧. تفسير العياشي ، ٢ : ٤٢.

(٦) الأعراف : ١٨٠.

(٧) بحار الأَنوار ، ٩١ : ٥ـ ٦/ ح٧. تفسير العياشي ، ٢: ٤٢.

آخر كلامه ، فبكىٰ أَهل البصرة كُلّهم وصلّوا عليه» . **وقال** عليه السلام: **«أَنا دحوتُ أَرضها، وأَنشأتُ جبالها ، وفجَّرتُ عيونها ، وشققتُ أَنهارها ، وغرستُ أَشجارها ، وأَطعمتُ ثمارها ، وأَنشأتُ سحابها ، وَأَسمعتُ رعدها ، ونوَّرتُ برقها ، وأَضحيتُ شمسها ، وأَطلعت قمرها ، وأَنزلتُ قطرها ، ونصبتُ نجومها ... وسكنتُ أَطوادها ، وأَنشأتُ جواري الفلك فيها ، وأَشرقتُ شمسها ، وأَنا جنب اللَّـه وكلمته ، وقلب اللَّـه وبابه الَّذي يؤتىٰ منه ، ادخلوا الباب سجّداً أغفر لكم خطاياكم وأزيد المحسنين ، بي وعلى يديّ تقوم السَّاعة ، وفيَّ يرتاب المبطلون ، وأَنَا الأَوَّل والآخر ، والظاهر والباطن وبكلِّ شيء عليم»** [1] .

ودلالته قد اتَّضحت ؛ فإِنَّه صلوات الله عليه بعدما كانت طبقات حقيقته الصَّاعدة أَسماء وصفات إِلٰهيَّة ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ، كـ : (اسم : الأَوَّل والآخر ، والظَّاهر والباطن ، والعليم ، والخالق والباري والمصور ، والرازق والغافر والباعث ، والمحسن والمُدبِّر ، والنُّور) ـ كان علَّة فاعليَّة ، وصدرت منه صلوات الله عليه هذه الأَفعال وتلك الشؤون ، وحينئذٍ لا إِشكال ولا غبار على هذا البيان وما شاكله ولا حزازة فيه وفيها ، ولا تحتاج ـ بعد ما كان على أَقلِّ تقدير مجموع هذه البيانات قطعيَّة الصدور بالقطع النقلي والعقلي والوحياني ـ إِلى نظرٍ إلى سندها ، أَو توجيه لدلالتها وحملها على معانيها المجازيَّة ؛ بعدما لم تكن هناك شائبة في الحمل على معانيها الحقيقيَّة . فالتفت ، وتأمَّل جيِّداً.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ٣٤٨.

٢ـ بيان خطبته صلوات الله عليه : «... **أَنَا مُنزل الملائكة منازلها ، أَنا آخذ العهد على الأَرواح في الأَزل ، أَنا المُنادي لهم : أَلستُ بربِّكم ؛ بأَمر قيُّوم لم يزل ... أَنا صاحب الهبات ، بعد الهبات ولو أَخبرتكم لكفرتم ... أَنا منشئ الأَنام ... أَنا صاحب النجوم ، أَنا مُدبِّرها بأَمر ربّي ... أَنا المُعطِي ، أَنا المُبذِل ، أَنا القابض يدي على القبض ... أَنا صاحب القطر والمطر ، أَنا صاحب الزلازل والخسوف ... أَنا صاحب الغيث بعد القنوط...**» (١) .

ودلالته قد اِتَّضحت ولا غبار عليها أَيضاً ؛ فإِنَّه بعدما كانت طبقات حقيقته صلوات الله عليه الصَّاعدة صفات وأسماء إِلٰهيَّة كـ : اسم : (خير المُنزلين)، و(الـمُمكِّن)، و(المُعطِي)، و(الـمُنشِئ)، و(المُدبِّر)، و(القابض)، و(المُغيث) حصل منه صلوات الله عليه ذلك الشأن ؛ وصدرت منه تلك الأَفعال.

٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «... **وإِليَّ إِياب الخلق جميعاً ، وأَنا الإِياب الَّذي يؤوب إِليه كُلّ شيءٍ بعد الفناء ، وإِليَّ حساب الخلق جميعاً ... وأَنا خازن الجنان ... والحُجَّة على أَهل السماوات والأَرضين وما فيهما وما بينهما ... وأَنا الَّذي سُخِّرت لي السحاب والرعد والبرق ، والظُّلم والأَنوار ، والرياح والجبال والبحار ، والنجوم والشَّمس والقمر ، وأَنا الَّذي أَهلكتُ عاداً وثموداً ، وأَصحاب الرسّ وقروناً بين ذلك كثيرة. وأَنا الَّذي ذلَّلتُ الجبابرة ، وأَنا صاحب مدين ، ومُهلك فرعون ، ومنجي موسىٰ عليه السلام ... وأَنا الَّذي**

---

(١) مشارق أَنوار اليقين في أَسرار أَمير المؤمنين عليه السلام، الخطبة الإِفتخاريَّة: ١٦٥ ـ ١٦٦.

أَحصيتُ كُلّ شيءٍ عدداً ...» [١] .

ودلالته قد اِتَّضحت ، ولا غبار عليها أَيضاً.

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً في رسالته إِلى سهل بن حنيف رحمه الله : «... **واللّـه ، لو تظاهرت العرب على قتالي لَـمَا ولَّيت ، ولو أَمكنتني الفرصة من رقابهم لَـمَا بقَّيت ...**» [٢] .

ودلالته قد اتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّه بعدما كانت طبقات حقيقة أَمير المؤمنين صلوات الله عليه النازلة ظهورات وتجلِّيات لطبقات حقيقته المتوسطة ، وطبقات حقيقته عليه السلام المتوسطة ظهورات وتجلِّيات لطبقات حقيقته الصَّاعدة ، ولَـمَّا كانت طبقات حقيقته صلوات الله عليه الصاعدة صفات وأَسماء إِلٰهيَّة كـ : اسم : (المنتقم) [٣] و(الضَّار) و(المقتدر) و(القوي) و(المقيت) و(المذل) و(المُتكبِّر) و(القهَّار) أَمكن لو أُتيحت له الفرصة من رقاب مَنْ خالفه من العرب لَـمَا أَبقىٰ منها عين ولا أَثر.

وهذا ما يُوضِّح : نكتة ما ورد من أَحوال أَهل البيت عليهم السلام العظيمة المهولة العجيبة الغريبة من أَصحاب الدائرة الاِصطِفائيَّة الأُولىٰ ـ الأَربعة عشر معصوماً ـ وأَصحاب الدائرة الاِصطِفائيَّة الثانية من بني هاشم ، كأَبي

---

(١) مختصر البصائر : ١٣٠ ـ ١٣٤/ ح١٠٢ ـ ٢.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢١ : ٢٦/ ح٢٥. أَمالي الصدوق : ٣٠٧.

(٣) المراد من الاسم الإِلٰهي : (المنتقم) : تطهير الأَرض من أَسباب الشرّ والشرور ، والفساد والمفسدين. وليس المراد منه : الإِنتقام والتشفِّي ؛ فإِنَّه (عزَّوجلَّ) لا يحتاج إِلى خلقه ؛ كيما ينتقم ويتشفَّىٰ منهم. وعلى هذا قس بقيَّة أَسماء الجلال الإِلٰهيَّة.

الفضل العبَّاس عليه السلام ؛ فإنَّه ورد في حقِّه أنَّه قتل في يوم العاشر من المحرَّم مقتلة عظيمة من جيش يزيد بن معاوية (عليهم اللعنة) ، فإنَّه عليه السلام بعدما كان من أَصحاب الدائرة الاِصطِفائيَّة الثَّانية كان باباً من أَبواب أَصحاب الدائرة الاِصطِفائيَّة الأُولىٰ ، فتكون طبقات حقيقته النَّازلة والمتوسطة والصَّاعدة تجلِّيات وظهورات لطبقات حقائقهم صلوات الله عليهم ، فيكون عليه السلام وطبقات حقيقته اسم الإِسم الإِلٰهي ، وآية عظمىٰ للآيات الإِلٰهيَّة الأَعظم ؛ طبقات حقائق أَهل البيت صلوات الله عليهم الصَّاعدة ، فتصدر منه تلك الشؤون والأَفعال من دون حزازة ولا شبهة ولا إِشكال بعدما كان الجميع فيض من ساحة القدس الإِلٰهيَّة ، ومن ثَمَّ لا يُقاس فعله عليه السلام وفعلهم صلوات الله عليهم بأَفعال البشر.

ولا يُقال ـ بل يصدر أَحياناً من أَرباب المنابر والخطباء ـ : إِنَّه لو جيء بأَربعة آلاف دجاجة مثلاً لاحتاج ذبح كُلّ واحدةٍ إِلى كذا من الوقت ، ولاحتاج المجموع إِلى فترة أَوسع من زمان المعركة فكيف يُقال : إِنَّ أَبا الفضل العبَّاس قتل على المشرعة أَربعة آلاف فارس.

فإِنَّه يُقال : إِنَّ سنخ فعله عليه السلام وسنخ أَفعال بقيَّة أَصحاب الدائرة الاِصطِفائيَّة الثانية كسنخ أَفعال أَصحاب الدائرة الاِصطِفائيَّة الأُولىٰ تختلف عن سنخ أَفعال البشر.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً : بيان أَمير المؤمنين صلوات الله عليه : «... **وصرتُ أَنا صاحب**

أمر النَّبيّ ﷺ ، قال اللَّـه عزَّ وجلَّ : ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (١) » ، وهو : روح اللَّـه ... فمن أَعطاه اللَّـه هذا الروح فقد أَبانه من النَّاس ، وفوَّض إِليه القدرة ، وأَحيىٰ الموتىٰ ، وعلم بما كان وما يكون ، وسار من المشرق إِلى المغرب ، ومن المغرب إِلى المشرق في لحظة عين ، وعلم ما في الضمائر والقلوب ، وعلم ما في السَّماوات والأَرض ... » (٢) .

ثانياً : بيانه صلوات الله عليه أَيضاً : « ... والإِمام ... بشرٌ ملكيّ ، وجسدٌ سماويٌّ ، وأَمرٌ إِلٰهيٌّ ، وروحٌ قدسيٌّ ، ومقامٌ عَلِيٌّ ، ونورٌ جليٌّ ، وسرٌّ خفيٌّ ، فهو ملك الذَّات ، إِلٰهيُّ الصفات ... وهذا كُلّه لآل مُـحَمَّد لا يُشاركهم فيه مُشارك ... » (٣) .

ثالثاً : بيانه صلوات الله عليه أَيضاً ، عن سلمان رضي الله عنه : « ... قال : أتريدون أَنْ أُريكم عجباً ؟ قلنا : نعم ، قال : غُضُّوا أَعينكم ، ففعلنا ، ثُمَّ قال: افتحوها ، ففتحناها فإذا نحن بمدينة ما رأينا أَكبر منها ، والأَسواق فيها قائمة ، وفيها أُناس ما رأينا أَعظم من خلقهم على طول النخل ، قلنا : يا أمير المؤمنين من هؤلاء ؟ قال : بقيَّة قوم عاد ، كُفَّار لا يؤمنون باللَّـه (عزَّوجلَّ) أَحببتُ أَنْ أُريكم إِيّاهم ، وهذه المدينة وأَهلها أُريد أَنْ اهلكهم وهم لا يشعرون. قلنا : يا أَمير المؤمنين ، تهلكهم بغير حُجَّةٍ ؟ قال : لا ، بل بحُجَّة

---

(١) غافر : ١٥.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١ـ ٧/ ح١.

(٣) المصدر نفسه ، ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.

عليهم ، فدنا منهم وترآءىٰ لهم فهمُّوا أَنْ يقتلوه ... ثُمَّ تباعد عنهم ودنا مِنَّا ، ومسح بيده على صدورنا وأَبداننا ، وتكلَّم بكلمات لم نفهمها وعاد إِليهم ثانية حتَّىٰ صار بإِزائهم وصعق فيهم صعقة . قال سلمان : لقد ظننَّا أَنَّ الأَرض قد انقلبت ، والسَّماء قد سقطت ، وأَنَّ الصواعق من فيه قد خرجت ، فلم يبقَ منهم في تلك السَّاعة أحد . قلنا : يا أَمير المؤمنين ، ما صنع الله بهم ؟ قال: هلكوا وصاروا كُلّهم إِلى النَّار. قلنا : هذا مُعجز ، ما رأينا ولا سمعنا بمثله. فقال عليه السلام : أَتريدون أَنْ أُريكم أَعجب من ذلك ؟ فقلنا : لا نطيق بأسرنا على احتمال شيء آخر ، فعلىٰ من لا يتوالاك ، ويؤمن بفضلك وعظيم قدرك على الله (عزَّوجلّ) لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والخلق أَجمعين إِلى يوم الدِّين ...» (١) .

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ واضحة.

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «واللَّـه ، إِنِّي لديَّان النَّاس يوم القيامة ... وإِنَّ جميع الرسل والملائكة والأَرواح خُلقوا لخلقنا ، ولقد أُعطيت التسع الَّذي لم يسبقني إِليها أَحَد ... وبِي كمل الدِّين ... ومِنَّا الرقيب على خلق اللَّـه ... إِذ يقول اللَّـه : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢) ...» (٣) .

٦ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «أَنا علم اللَّـه ، وأَنا قلب اللَّـه الواعي ، ولسان

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٣٣ـ ٤٠/ ح٥. المحتضر : ٧١ ـ ٧٦.

(٢) النساء : ١.

(٣) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ٣٥٠ـ ٣٥١/ ح٢٤. تفسير فرات : ٦١ ـ ٦٢.

اللَّـه النَّاطق ، وعين اللَّـه النَّاظرة ، وأَنا جنب اللَّـه ، وأَنا يد اللَّـه» (١) .

٧ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... فنحن روح اللَّـه وكلماته ، وبنا احتجب عن خلقه ...**» (٢) .

٨ ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**أَنا أورث من النَّبيِّين إِلى الوصيِّين ، ومن الوصيِّين إِلى النَّبيِّين ، وما بعث اللَّـه نبيّاً إِلَّا وأَنا أَقضي دينه وأنجز عداته ...**» (٣) .

٩ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... ونحن إِذا شئنا شاء اللَّـه ، وإِذا كرهنا كره اللَّـه ...**» (٤) .

١٠ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... ويطيعنا كُلُّ شيءٍ حتَّىٰ السَّماوات والأَرض، والشَّمس والقمر ، والنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار ، والجنَّة والنَّار ...**» (٥) .

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ قد اِتَّضحت أَيضاً.

١١ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**لو كشف الغطاء ما ازددتُ يقيناً**» (٦) .

١٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... ولولا آية في كتاب اللَّـه لأَنبئتكم بما في السَّماوات والأَرض ... فاسألوني قبل أَنْ تفقدوني ... ولولا أَنْ يقول قائلكم:**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ١٩٨/ح٢٥.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٦ : ٢٩١/ح٥١. كنز الفوائد : ٥٥ .

(٣) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ٣٥٠/ح٢٣. تفسير فرات : ١٣.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١ ـ ٧/ح١.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه ، ٤٠ : ١٥٣.

إِنَّ عَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام ساحر كما قيل في ابن عمِّي لأَخبرتكم بمواضع أَحلامكم ، وبما في غوامض الخزائن (المسائل) ، ولأَخبرتكم بما في قرار الأَرض ...» (١) .

١٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... سلوني قبل أَنْ تفقدوني ، فَلأنا بطرق السَّماء أَعلم مِنِّي بطرق الأَرض...**» (٢) .

١٤ـ بيانه صلوات الله عليه أَيضاً ، عن أَبي عبد اللَّـه عليه السلام ، قال : «**إِنَّ جويريَّة بن مسهّر العبديّ خاصمه رجل في فرسٍ أُنثىٰ ، فادَّعيا جميعاً الفرس، فقال أَمير المؤمنين عليه السلام : أَلواحد منكما البيِّنة ؟ فقالا : لا. فقال لجويريَّة : أَعطه الفرس. فقال له : يا أَمير المؤمنين ، بلا بيّنة ؟! فقال له : والله لأَنا أَعلم بكَ منكَ بنفسكَ ، أَتنسىٰ صنيعك بالجاهليَّة الجهلاء ، فأَخبره بذلك**» (٣) .

١٥ـ بيان زيارته عليه السلام : «**... أَشهدُ أَنَّكَ تراني وتبصرني وتعرف كلامي وتجيبني وتعرف ما يجنَّه قلبي وضميري...**» (٤) .

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّه مُشير إلى طبقة حقيقة أَمير المؤمنين صلوات الله عليه الصَّاعدة ، في عَالَم السرمد والأَزل ، والمُعبَّر عنه في بيانات الوحي بعنوان : (عنده) عَالَم الصفات والأَسماء الإِلٰهيَّة، وتتبعها طبقات حقيقته صلوات الله عليه المتوسِّطة والنَّازلة ؛ فإِنَّها بعدما

---

(١) كتاب خطبة البيان لأَمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) بحار الأَنوار ، ٦٦ : ٢٢٧/ح١٩. نهج البلاغة ، ١/خ ١٨١ : ٣٨٦.

(٣) بصائر الدرجات ، ١ : ٤٨٣/ح ٨٩٥ ـ ١.

(٤) بحار الأَنوار ، ٩٧ : ٣٤٧ ـ ٣٥٢/ح٣٤. المزار الكبير : ٩٧ ـ ١٠١.

كانت أَلطف مخلوقات عوالمها ، كانت داخلة في جميع شراشرها وجزئيَّاتها وذرَّاتها وكانت أَقرب إِليها من أَنفسها ومن حبل وريدها ، ومن ثَمَّ يرىٰ صلوات الله عليه ويبصر في اللَّحظة الواحدة ظواهر وبواطن طُرّ المخلوقات، وفي كافَّة العوالم ، ويسمع ويعرف كلامها ويجيبها ، ويعرف ما تجنَّه طبقات حقائقها أَكثر من معرفة نفس المخلوقات بأنفسها.

وسيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) بيان وتفصيل أَكثر عن هذه القضيَّة في المُقدِّمات التَّالية فانتظر هنيئة.

١٦ـ بيان زيارتهم صلوات اللَّـه عليهم : «... **بأَبي أَنتم وأُمِّي ونفسي وَأَهلي ومالي ، ذكركم في الذَّاكرين ، وَأَسماؤكم في الأَسمآء ، وأَجسادكم في الأَجساد ، وأَرواحكم في الأَرواح ، وأَنفسكم في النُّفوس ، وآثاركم في الآثار، وقبوركم في القبور ، فما ... أَعظم شأنكم ، وَأَجلّ خطركم...**»[1] .

ودلالته قد اِتَّضحت أَيضاً ، فإِنَّ طبقات حقائق أَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت صلوات الله عليهم الصَّاعدة لَـمَّا كانت صفات وأَسمآء إِلٰهيَّة كانت أَلطف الموجودات ؛ فيكونوا صلوات الله عليهم بلحاظ تلك الطبقات الصَّاعدة داخلين في جميع شراشر وجزئيَّات وذرَّات كافَّة المخلوقات دخول اللطيف في الأَغلظ لا بالممازجة والمزاولة ، وخارجين عنها خروج اللطيف عن الأَغلظ لا بالمباينة والمزايلة ، ومن ثَمَّ يكونوا صلوات الله عليهم أَعرف من جملة المخلوقات وفي طُرِّ العوالم بأنفسها من أَنفسها.

وعلى هذا قس بقيَّة طبقات حقائقهم صلوات الله عليهم المتوسطة

---

(١) بحار الأَنوار ، ٩٩ : ١٣٢. عيون الأَخبار ، ٢ : ٢٧٢ ـ ٢٧٧.

والنَّازلة ؛ فإنَّها لَـمَّا كانت ألطف مخلوقات عوالمها كانت داخلةً فيها دخول اللطيف في الأَغلظ ، وخارجةً عنها خروجه عنه ، فكانت أَجسادهم وأَرواحهم ونفوسهم وبقيَّة طبقات حقائقهم صلوات الله عليهم داخلة ـ على وفق القاعدة ـ في جميع شراشر وجزئيَّات وذرَّات أَجساد وأَرواح ونفوس وبقيَّة طبقات حقائق جملة مخلوقات تلك العوالم دخول اللطيف في الأَغلظ لا بالممازجة والمزاولة ، وخارجة عنها خروج اللطيف من الأَغلظ لا بالمباينة والمزايلة . ومن ثَمَّ يحيطوا صلوات الله عليهم أَيضاً ـ على طبق القاعدة ـ بجميع شراشر وجزئيَّات وذرَّات مخلوقات جملة العوالم ، ولا يشذُّ عنهم صلوات الله عليهم شيء البَتَّة.

وسيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) مزيد بيان عن هذه القضيَّة في المُقدِّمات التالية فانتظر.

١٧ـ بيان زيارتهم صلوات الله عليهم أَيضاً : «... **لم تزالوا بعين اللَّـه وعنده ، وفي ملكوته تأمرون ، وله تخلفون ، وإِيَّاه تُسَبِّحون ، وبعرشه محدقون، وبه حافُّون حتَّىٰ مرَّ بكُم علينا ، فجعلكم في بيوتٍ أَذِنَ اللَّـه أَنْ تُرفع** ...»[1].

ودلالته قد اِتَّضحت أَيضاً ، فإِنَّ بيان قوله عليه السلام : «**لم تزالوا بعين اللَّـه وعنده**» إِشارة إِلى عَالَم السرمد والأَزل ؛ عَالَم الصفات والأَسماء الإِلٰهيَّة.

وقوله عليه السلام : «**وفي ملكوته تأمرون ، وله تخلفون ، وإِيَّاه تُسبِّحون ، وبعرشه محدقون ، وبه حافُّون**» إِشارة إِلى طبقات حقائق أَهل البيت صلوات

(١) بحار الأَنوار ، ٩٩ : ١٥١ ـ ١٥٢.

الله عليهم الصاعدة في مرتبة الصفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ؛ فإِنَّها هي الآمرة والنَّاهية ، والحاكمة والمُتصرِّفة في جملة العوالم وسائر المخلوقات ؛ من بداية الخلقة والوجود إِلى ما لا نهاية له أَزلاً وأَبداً ما دام للَّـه (عزَّوجلَّ) حاجة في خلقه.

وقوله عليه السلام : «**حتَّىٰ مرَّ بكم علينا ، فجعلكم في بيوتٍ أَذِنَ اللَّـه أَنْ ترفع**» إشارة إلى مرتبة أَبدانهم صلوات الله عليهم الشَّريفة المُقدَّسة ؛ فإِنَّها بيوت لأَرواحهم وطبقات حقائقهم عليهم السلام النازلة. وكذا أَرواحهم عليهم السلام الطَّاهرة النَّازلة ؛ فإِنَّها بيوت لأَرواحهم الأَعلىٰ طبقة. وهذا أَحد معاني عنوان: (أَهل البيت عليهم السلام) ؛ فإِنَّ أَبدانهم الشَّريفة بيوت لأَرواحهم النَّازلة ، وأَرواحهم النَّازلة بيوت لأَرواحهم الصَّاعدة. فالتفت ، وتدبَّر جيِّداً ، واغتنم تربت يداك.

وسيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) في محلِّه مزيد بيان عن هذه القضيَّة فانتظر.

١٨ـ بيان زيارتهم صلوات اللَّـه عليهم أَيضاً : «... **طأطأ كُلّ شريفٍ لشرفكم ، وبخع**[١] **كُلّ مُتكبِّرٍ لطاعتكم ، وخضع كُلّ جبّارٍ لفضلكم ، وذلّ كُلّ شيءٍ لكم ، وأَشرقت الأَرض بنوركم ... بكم يُسلك إِلى الرضوان ...**»[٢].

١٩ـ بيان زيارتهم صلوات اللَّـه عليهم أَيضاً : «... **حتَّىٰ لا يبقىٰ ملك مُقرَّب ، ولا نبيّ مرسل ، ولا صِدِّيق ولا شهيد ، ولا عَالِم ، ولا جاهل ، ولا**

---

(١) خ . ل : (نخع) . خ. ل : (نجع).

(٢) بحار الأَنوار ، ٩٩ : ١٣٢. عيون الأخبار ، ٢ : ٢٧٢ ـ ٢٧٧.

دني ولا فاضل ، ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ، ولا جبَّار عنيد ، ولا شيطان مريد ، ولا خلق فيما بين ذلك شاهد ما هنالك إِلَّا عرَّفه جلالة أَمركم، وعظم خطركم ، وكبير شأنكم ، وجلالة قدركم ، وتمام نوركم ، وصدق مقعدكم ، وثبات مقامكم ، وشرف محلَّكم ، ومنزلتكم عنده ، وكرامتكم عليه ، وخاصَّتكم لديه ، وقرب مجلسكم منه ...» (١) .

٢٠ـ بيان زيارته صلوات اللَّـه عليه : «**... السَّلام عليك ... أَوَّل من ابتدع اللَّـه ، والحُجَّة على جميع من خلق اللَّـه ... أَيُّها النَّبأ العظيم ، والخطب الجسيم ... أَيُّها النَّازل من عِلِيِّين ، والعالم بما في أَسفل السَّافلين ، ومهلك من طغىٰ من الأَوَّلين ، ومبيد من جحد من الآخرين...**» (٢) .

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ قد اتَّضحت أَيضاً ، ولا غبار عليها.

٢١ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام ، عن أَبي حمزة ، قال : «سألت أَبا جعفر عليه السلام ... عن قول اللَّـه تعالىٰ : ﴿**وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا**﴾ (٣) قال: **تفسيرها في بطن القرآن يعني : عَلِيّ هو ربّه في الولاية والطاعة ، والرَّبُّ هو : الخالق الَّذي لا يوصف ...**» (٤) .

ودلالته قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّه مُشير إِلى بعض طبقات حقيقة أَمير

---

(١) بحار الأَنوار: ٩٩ : ١٣٠. عيون الأَخبار ، ٢ : ٢٧٢ ـ ٢٧٧.

(٢) بحار الأَنوار ، ٩٨ : ٣٤٧ ـ ٣٥٢/ ح٣٤. المزار الكبير : ٩٧ ـ ١٠١.

(٣) الفرقان : ٥٥.

(٤) بصائر الدرجات ، ١ : ١٦٨ ـ ١٧٠/ ح ٣١٩ ـ ٥.

المؤمنين صلوات الله عليه الصَّاعدة في عَالَم السرمد والأَزل ، فإِنَّها أَسماء إِلٰهيَّة، كـ: (اسم الرَّبِّ) ، وهو : المالك والمُدبِّر والمدير لأَحوال وشؤون جملة المخلوقات في عَالَم الولاية والطَّاعة ، و(اسم الخالق) (١) .

٢٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**إِنَّه ليس عند أحد من حقٍّ ولا صواب ، وليس أَحد من النَّاس يقضي بقضاء يصيب فيه الحقّ إِلَّا مفتاحه عَلِيٌّ ، فإذا تشعَّبَتْ بهم الأُمور كان الخطأ من قبلهم ، والصواب من قِبَله أَو كما قال**» (٢) .

٢٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**أَمَا إِنَّه ليس عند أَحد علمٌ ولا حقٌّ ولا فتيا إِلَّا شيءٌ أُخذ عن عَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام، وعنَّا أَهل البيت ، وما من قضاء يُقضىٰ به بحقٍّ وصوابٍ إِلَّا بدءُ ذلك وسببه وعلمه من عَلِيٍّ عليه السلام ومِنَّا ، فإذا اختلف عليهم أَمرهم قاسوا وعملوا بالرأي ، وكان الخطأ من قِبَلهم إِذا قاسوا ، وكان الصَّواب إِذا اتَّبعوا الآثار من قِبَل عَلِيّ عليه السلام**» (٣) .

٢٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**كُلُّ ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل**» (٤) .

٢٥ـ بيان الإِمام الصادق عليه السلام : «**... فكُلّ علمٍ خرج إِلى أَهل السَّماوات والأَرض فمنَّا وعنَّا ...**» (٥) .

---

(١) هذا عطف على (اسم الرَّبِّ) ، فتكون العبارة كالتالي : (فإِنَّها ـ أَي: طبقات حقيقة أَمير المؤمنين عليه السلام الصَّاعدة ـ أَسماء إِلٰهيَّة ، كـ : (اسم الرَّبِّ) ... و(اسم الخالق)).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢ : ٩٥/ ح٣٥.

(٣) المصدر نفسه/ ح٣٦.

(٤) مختصر البصائر : ١٩٨/ ح١٧٩ ـ ٢٠.

(٥) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٢٤/ ح٤١.

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ قد اِتَّضحت ؛ فإِنَّه بعدما كانت طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة صفات وأَسماء إِلٰهيَّة ، منها: اسم : (العليم ، واللَّطيف ، والنَّافع ، والنُّور ، والهادي ، والرشيد) ، وكانوا صلوات اللَّـه عليهم هم الرباط الأَدنىٰ ، والسبب الحصري الفارد بين جملة العوالم وكافَّة المخلوقات ، ووسائط الفيض الإِلٰهي لطُرِّ العوالم وسائر المخلوقات من بداية الخلقة والوجود إِلى ما لا نهاية له كانوا صلوات الله عليهم مُحيطين بجملة العلوم والمعارف الحقَّة الصَّادرة من الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، ولا يشذُّ عنهم شيء ، ومن ثَمَّ كُلّ ما حوته وتحويه كافَّة المخلوقات ـ منها : طبقات حقائقهم صلوات اللَّـه عليهم المتوسطة والنَّازلة، وطبقات حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة (الرُّوح الأَمري) ، وهو مخلوق مهول وعظيم جِدّاً ، وطبقات حقيقة جبرئيل عليه السلام ـ وفي كُلِّ العوالم والنَّشَآة ، من بداية الخلقة والوجود إِلى مالا نهاية له من علوم ومعارف وعقائد حقَّة لا يكون إِلَّا ببركة ضخّ طبقات حقائقهم صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة لتلك العلوم والمعارف والعقائد. وإِلَّا ـ أَي : ما حوته المخلوقات من غير طريق وصراط أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم ـ فزيغ وجهل وضلال وغواية وانحراف ليس إِلَّا ، فالتفت واغتنم تربت يداك.

وعلى طرز هذه البيانات الوحيانيَّة وردت بيانات وحيانيَّة وافرة وباهرة أُخرىٰ ، منها :

أَوَّلاً : بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**أَنَا مدينة العلم ، وَعَلِيّ بابها ، وهل**

تُدخل المدينة إِلَّا من بابها...» (١).

ثانياً : بيانه ﷺ أَيضاً : «**أَنا مدينة الفقه ، وعَلِيّ بابها**» (٢).

ثالثاً : بيانه ﷺ أَيضاً : «**أَنا مدينة الحكمة ، وَعَلِيّ بابها ، فَمَنْ أَراد الحكمة فليأت الباب**» (٣).

رابعاً : بيانه ﷺ أَيضاً ، مُخاطباً أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه : «... **يا عَلِيّ ، أَنتَ بابي الَّذي أُوتىٰ منه ، وأَنا باب اللّـه ، فَمَنْ أَتَاني من سواكَ لم يصل ، وَمَنْ أَتىٰ سواي لم يصل...**» (٤).

خامساً : بيانه ﷺ مخاطباً أَمير المؤمنين صلوات الله عليه أَيضاً : «... **ياعَلِيّ ، ما عُرف اللّـه إِلَّا بي ثُمَّ بكَ ...**» (٥).

سادساً : بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «... **ولولانا ما عُرف اللّـه ، وأيم اللّـه، لولا وصيَّة سبقت وعهد أُخذ علينا لقلتُ قولاً يعجب منه أَو يذهل منه الأَوَّلون والآخرون**» (٦).

وكُلُّ هذه بيانات معارف إِلٰهيَّة دينيَّة ـ وليست شرعيَّة مختصَّة بالثقلين

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٠ : ١٢٠/ح١. التوحيد : ٣١٩ ـ ٣٢٣. الأمالي : ٢٠٥ ـ ٢٠٨/ المجلس : (الخامس والخمسون).

(٢) إحقاق الحقّ ، ٥ : ٥٠٥. تذكرة الخواص : ٢٦. كتاب الغدير ، ٦ : ٨١.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ١٢٦/ح٥٣ (مع اختلاف يسير). أَمالي الصدوق : ١٦٢. إِكمال الدين: ١٤٠. أَمالي الطوسي ، ٢ : ٥١/ح٢٤ ـ ١٠٥٥.

(٤) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ٢٠٤/ح١٠. تفسير فرات : ١٢.

(٥) بحار الأَنوار ، ٢٢ : ١٤٨/ح١٤١. كتاب سليم : ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٦) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٤ـ٥/ح٧. المحتضر : ١٢٩.

وبهذه النشأة الأَرضيَّة ـ كحال دين الإِسلام وبقيَّة معارفه وعقائده شاملة لطُرِّ العوالم وكافَّة المخلوقات من بداية الخلقة إِلى مالا نهاية له، فالتفت ، واغتنم.

٢٦ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن أَبي بكر الحضرمي ، قال : «**قال لي أَبو عبداللَّـه عليه السلام : يا أَبا بكر ، ما يخفىٰ عَلَيَّ شيء من بلادكم**» (١) .

٢٧ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن عدَّة من أَصحابنا ، فيهم عبد الأَعلىٰ وعبيدة بن عبداللَّـه بن بشر الخثعميّ وعبداللَّـه بن بشير ، سمعوا أَبا عبداللَّـه يقول : «**إِنِّي لأَعلم ما في السَّماوات ، وأَعلم ما في الأَرضين ، وأَعلم ما في الجنَّة ، وأَعلم ما في النَّار ، وأَعلم ما كان وما يكون . قال : ثُمَّ مكث هنيئة ، فرأَىٰ أَنَّ ذلك كبر على مَنْ سمعه ، فقال: علمتُ من كتاب اللَّـه ، إِنَّ اللَّـه يقول : «فيه تبيان كُلّ شيء»**» (٢) .

٢٨ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**إِنَّ للَّـه (عزَّوجلَّ) اثنىٰ عشر أَلف عَالَم ، كُلُّ عَالَمٍ منهم أَكبر من سبع سماوات وسبع أَرضين ، ما يرىٰ كُلّ عَالَمٍ منهم : إِنَّ للَّـه عَالَـماً غيرهم وأَنا الحُجَّة عليهم**» (٣) .

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ قد اِتَّضحت.

٢٩ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**لو أَنَّ اللَّـه خلق الخلق كلّهم بيده لم يحتجَّ في آدم**

---

(١) بصائر الدرجات ، ٢ : ٣٤٥/ ح١٥٧٦ ـ ٧.

(٢) المصدر نفسه ، ١ : ٢٦٤/ ح٤٩٧ ـ ٥. الكافي ، ١ : ٣٦١/ ح٢.

(٣) مختصر البصائر : ٧٦/ ح٤٧ ـ ٤٧. الخصال للصدوق : ٦٣٩/ ح٢.

أَنَّه خلقه بيده ...» (١) .

ودلالته قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ فيه إِشارة معرفيَّة إِلى ما تقدَّم ؛ من أَنَّ جملة العوالم وطُرّ المخلوقات خُلقت بأَيدي طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة في عَالَم السرمد والأَزل ؛ عَالَم الصفات والأَسماء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ ، كـ : اسم : (الخالق) و(الباري) و(المصور).

٣٠ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «... **أَمَا واللَّـه ، لو علموا كيف كان أَصل الخلق ما اختلف إِثنان**» (٢) .

٣١ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «... **أَما لو علموا كيف كان بدؤ الخلق وأَصله لَـمَا اختلف إِثنان**» (٣) .

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة لَـمَّا كانت أَوَّل الموجودات أُشتقَّت وتجلَّت منها كافَّة العوالم وجميع المخلوقات ، ومن ثَمَّ لو اطَّلعت المخلوقات على أَصل خلقتها لَـمَا حصل فيما بينها الإِختلاف ، وكانت بجملتها مُحبَّة وموالية لأَصلها ومنبعها : أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي الإِلٰهي الأُخرىٰ ، منها :

أَوَّلاً : بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله مُخاطباً أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه :

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤ : ١/ح١.

(٢) المصدر نفسه ، ٢ : ١٣٢/ح٢٣.

(٣) المصدر نفسه : ١٣٥/ح٣٤.

«... **يا عَلِيّ ... أَنا وأَنتَ أَبوا هذه الأُمَّة ، فلعن اللَّـه من عقَّنا...**»[١] .

ودلالته واضحة ؛ فإِنَّ معنىٰ الأَب : كُلُّ مَنْ كان سبباً في إِيجاد الشيء وإِصلاحه وظهوره ، وإِظهاره من ظلمات العدم إِلى نور الوجود.

بعد الإِلتفات : أَنَّ عنوان : (أُمَّة مُـحَمَّد صلى الله عليه وآله) ، المُشار إِليها في بيانه صلى الله عليه وآله : «**أَبوا هذه الأُمَّة**» شامل لطُرِّ العوالم وكافَّة المخلوقات ؛ من بداية الخلقة إِلى مالا نهاية له ؛ لأَنَّها : (أُمَّة الإِسلام) ، وهو شامل لجملة ذلك من بداية الخلقة إِلى مالا نهاية له. فالتفت.

ثانياً : بيانه صلى الله عليه وآله ، عن جابر بن عبداللَّـه الأَنصاري ، قال : «**قلتُ لرسول اللَّـه صلى الله عليه وآله : أَوَّل شيء خلق اللَّـه تعالىٰ ما هو؟ فقال : نور نبيِّك يا جابر ، خلقه اللَّـه ثُمَّ خلق منه كُلّ خير ، ثُمَّ أَقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء اللَّـه ، ثُمَّ جعله أَقساماً : فخلق العرش من قسمٍ ، والكرسي من قسمٍ ، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم ، وأَقام القسم الرابع في مقام الحبّ ما شآء اللَّـه ، ثُمَّ جعله أَقساماً : فخلق القلم من قسمٍ ، واللوح من قسمٍ ، والجنَّة من قسمٍ ، وأَقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شآء اللَّـه ، ثُمَّ جعله أَجزاءً : فخلق الملائكة من جزء ، والشَّمس من جزءٍ ، والقمر والكواكب من جزءٍ ، وأَقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شآء اللَّـه ، ثُمَّ جعله أجزاءً : فخلق العقل من جزءٍ ، والعلم والحلم من جزءٍ ، والعصمة والتوفيق من جزءٍ ، وأَقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شآء اللَّـه ، ثُمَّ نظر إِليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مائة أَلف وأَربعة وعشرون أَلف قطرة ؛ فخلق**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٦ : ٥ـ٦/ح٤.

اللّـه من كُلِّ قطرة روح نبيّ ورسول ، ثُمَّ تنفَّست أَرواح الأَنبياء فخلق اللّـه من أَنفاسها أَرواح الأَولياء والشهداء والصالحين» (١) .

ثالثاً : بيانه ﷺ أَيضاً : «**... خلقنا اللّـه نحن حيث لا سماء مبنيَّة ، ولا أَرض مدحيَّة ، ولا عرش ، ولا جنَّة ولا نار ، وكنَّا نُسبِّحه حين لا تسبيح ، ونقدِّسه حين لا تقديس ، فلَمَّا أَراد اللّـه بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش ، فنور العرش من نوري ، ونوري من نور اللّـه ... ثُمَّ فتق نور ابن أَبي طالب فخلق منه الملائكة ... وفتق نور ابنتي فاطمة منه فخلق السَّماوات والأَرض ... ثُمَّ فتق نور الحسن فخلق منه الشَّمس والقمر ... ثُمَّ فتق نور الحسين فخلق منه الجنَّة والحور العين ...**» (٢) .

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة أَيضاً.

٣٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن المفضّل بن عمر ، قال : «... فقلتُ له : يابن رسول اللّـه ، فَعَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام يُدخل مُحبّه الجنَّة ومبغضه النَّار أَو رضوان ومالك ؟ **فقال: يا مفضَّل ... فَعَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام إِذاً قسيم الجنَّة والنَّار عن رسول اللّـه ﷺ ، ورضوان ومالك صادران عن أَمره بأمر اللّـه (تبارك وتعالىٰ)، يا مفضَّل ، خُذ هذا ؛ فإِنَّه من مخزون العلم ومكنونه ، لا تخرجه إِلَّا إِلى أَهله**» (٣) .

٣٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**ما من شيءٍ ولا من آدمي ولا إِنسيّ ولا جنِّي ،**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٢١ـ٢٢/ح٣٧. رياض الجنان : (مخطوط).

(٢) بحار الأَنوار: ٦/ح٣٠.

(٣) المصدر نفسه ، ٣٩ : ١٩٤ـ١٩٦/ح٥. علل الشرائع : ٦٥.

ولا ملك في السَّماوات إِلَّا ونحن الحجج عليهم ، وما خلق اللَّـه خلقاً إِلَّا وقد عرض ولايتنا عليه واحتجَّ بنا عليه فمؤمن بنا وكافر وجاحد حتَّىٰ السَّماوات والأَرض والجبال الآية» (١) .

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ قد اتَّضحت.

٣٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : « **من صام أَوَّل يوم من شعبان... ومن صام ثلاثة أَيّام زاره اللَّـه في عرشه من جنَّته في كُلِّ يومٍ**» (٢) .

ودلالته قد اتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ بيان قوله عليه السلام : «**زاره اللَّـه**» أَي : زاره (اسم اللَّـه) ، وهو مخلوق من مخلوقات عَالَم السرمد والأَزل ؛ عَالَم الصفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة : طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة، وهذا الاسم المُقدَّس أَحد طبقات حقائقهم صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة، وحينئذٍ لا شبهة ولا إِشكال ، ولا يحتاج هذا البيان الوحياني الشَّريف إِلى تأويلٍ ؛ وحملٍ على معانيه المجازيَّة، كما كان ولا زال يُفعل بمثل هذه البيانات الوحيانيَّة وأَشباهها ونظائرها ، فيعمدون ويحتالون عليها بكُلِّ ما أُوتوا من قوَّة وصنعة ؛ لقصور عقولهم ، ولعدم تضلعهم ببيانات الوحي المعرفيَّة ، ويستخدمون معها أُسلوب وآليَّات وصنعة المخالفين ؛ أَعداء أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم ؛ فيسقطون منها أُلوف الآلاف عن الحُجِّيَّة إِمَّا من جهة سندها أَو من جهة دلالتها من خلال الحمل على معانيها المجازيَّة. فالتفت.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٤٦/ ح٧. السرائر : ٤٧٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه ، ٢ : ٩٢/ ح١٨٢٤.

وهذا[١] كالأَوَّل[٢] قتل للمعارف الإِلٰهيَّة ؛ معارف أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم ليس إِلَّا ، وجناية وإِضرار بدين الإِسلام وبأَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم أَعظم من دون قياس وأشنع من جناية وإِضرار يزيد بن معاوية وجيشه (عليهم لعائن اللَّـه) بدين الإِسلام وبأَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم ، لأَنَّ هؤلاء قتلوا الأَبدان وحرموا أَصحابها الحياة الدنيويَّة الزائلة ، بخلاف أُولئك ؛ فإِنَّهم يقتلون في كُلِّ لحظةٍ أَرواح وحقائق ومعارف وعقائد دين الإِسلام وأَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم ، ويقتلون الحياة الأُخرويَّة الأَبديَّة الدائمة ، فأيُّ جناية وإِضرار وظلم لأَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم ، وللمسلمين والمؤمنين، بل للبشريَّة جمعاء ، بل لجملة المخلوقات ، مشمولة ببيانات الوحي الدَّالة على ظلم أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم ، منها :

أَوَّلاً : إِطلاق بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه : «**ما زلتُ مظلوماً، لقد ظلمتُ عدد المدر والوبر**»[٣] .

ثانياً : إِطلاق بيان الإِمام الباقر صلوات اللَّـه عليه : «... **ثُمَّ لم نزل أَهل البيت نستذل ونستضام ، ونقصىٰ ونمتهن...**»[٤] .

---

(١) أَي: إِسقاط حُجِّيَّة بيانات الوحي المعرفيَّة عن الإِعتبار والحُجِّيَّة من خلال حمل أَلفاظها على معانيها المجازيَّة.

(٢) المراد من (الأَوَّل) : إِسقاط حُجِّيَّة بيانات الوحي المعرفيَّة من خلال تضعيف سندها.

(٣) بحار الأَنوار ، ١٠٩ : ٤٦.

(٤)المصدر نفسه ، ٤٤ : ٦٨.

ودلالتها واضحة.

٣٥ـ بيان الإمام الكاظم عليه السلام، في تفسير بيان قوله تعالىٰ : «﴿**فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ (١) قال : **نحن هم ، نشهد للرُّسل على أُممها**» (٢).

٣٦ـ بيان الإمام الرضا عليه السلام : «... **بنا يُمسك اللّـه السَّماوات والأَرض أَنْ تزولا ، وبنا ينزل الغيث ، وينشر الرَّحمة ...**» (٣).

٣٧ـ بيان النَّاحية المقدَّسة : «... **ونحن صنائع ربّنا ، والخلق بعد صنائعنا**» (٤).

ودلالة الجميع قد اِتَّضحت ، ولا غبار ولا شائبة عليها.

المُقدِّمة الثالثة :

تجلِّي الصفات والأَسمآء الإلهيَّة في حقائق أَهل البيت عليهم السلام

ثُمَّ إِنَّه لَـمَّا كانت طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم الصَّاعدة هي : الصفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ ـ فعليَّة كانت تلك الصفات والأَسمآء أَم ذاتيَّة ـ ، وخلصت من شائبة الأَنا والمخلوقيَّة ، وصارت تجلِّيات وظهورات للذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسة اَنعكست وظهرت وتجلَّت فيها كافَّة : صفات وأَسمآء وكمالات وشؤون الذات الإِلٰهيَّة

---

(١) آل عمران : ٥٣.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ٣٣٦/ح٣. مناقب آل أَبي طالب ، ٣ : ٤٠٣.

(٣) بحار الأَنوار: ٣٥/ح٥٩. كمال الدين : ١٧٧.

(٤) بحار الأَنوار ، ٥٣ : ١٧٨/ح٩.

الأَزليَّة المُقدَّسة إِلَّا الأُلوهيَّة ؛ لخروجها موضوعاً وتخصُّصاً.

نظيره:

أَوَّلاً : ما مرَّ في مثال (المرآة شديدة الصقل والصفاء والإِنْعِكَاس) ؛ والفانية في حكاية ذيها ، فلا تري نفسها ، بل محكيِّها ، ومن ثَمَّ تأخذ جميع صفات محكيِّها ـ إِلَّا ما خرج موضوعاً وتخصُّصاً ـ ، لكنَّه بالتَّبع وإِفاضة منه.

ثانياً : ما مرَّ أَيضاً في مثال (الصَّرح) الوارد في قضيَّة بلقيس ؛ فإِنَّه لشدَّة صفائه ، وتمرُّد ذاته ، وفنائها في حكاية ذيه لم يُرِ نفسه ، بل محكيَّه : (اللُّجَّة ـ الماء الغزير ـ) ، وانعكست فيه جميع صفاتها وأَسمائها وكمالاتها وشؤونها وأَحوالها ، فحسبته ماءً غزيراً فكشفت عن ساقيها لتتخطَّاه ، ولَـمَّا أُخبرت بالواقع ؛ وأَنَّه : (صرح مُـمرَّد) ؛ فُنيت وتمرَّدت ذاته في حكاية ذيه ، ولم يُرِ نفسه ، بل محكيَّه آمنت بما جاء به النَّبيّ سليمان عليه السلام من دون مهلة ونظر وتردُّد؛ لإِلتقاطها إِشارة معرفيَّة لمعنىٰ تجلِّيات وظهورات الذات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة في المخلوقات المُكرَّمة.

وهذا ما يوضِّح : نكتة وفلسفة إِسناد الباري ـ المُسمَّىٰ ـ (تعالىٰ ذكره) لإِسمين وصفتين من أَسمائه وصفاته المُقدَّسة في كتابه الكريم ، وهما : (ذو الجلال) و(ذو الإِكرام) ، فتارة أَسندهما إِلى ذاته المُقدَّسة.

فانظر :

بيانه جلَّ قوله : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (١) فإِنَّ (تبارك)

---

(١) الرحمٰن : ٧٨.

فعل ماضي ، و(إسمُ) فاعل ، و(ربِّك) مضاف إِليه مجرور بالكسرة ، و(ذي) صفة ربّك فأخذت حكم الموصوف وهو (الرَّبّ) فجُرَّت بـ : (الياء) ؛ لأَنَّها من الأَسماء الخمسة ، و (الجلال) مضاف إِليه ، و(الإِكرام) معطوف على الجلال.

إِذنْ : صفة واسم (ذي الجلال) و(الإِكرام) أسندهما الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ ذكره) في المقام إِلى ذاته المُقدَّسة.

وتارة أُخرىٰ أسندهما إِلى (وجه الرَّبِّ) ، وهو أَحد المخلوقات المُكرَّمة؛ وطبقة من طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة في عَالَم السرمد والأَزل؛ عَالَم الأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة ، وهو[١] أَحد المرادفات الإِلٰهيَّة العقليَّة للإِسم الإِلٰهي والصفة الإِلٰهيَّة . وحينئذٍ يَصحُّ إِسنادهما[٢] إِلى الاسم الإِلٰهي والصفة الإِلٰهيَّة أَيضاً من دون حزازة ولا شائبة إِشكال.

فلاحظ:

بيان قوله علا ذكره : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٣] . فإِنَّ (يبقىٰ) فعل مضارع ، و(وجهُ) فاعل مرفوع بالضمة ، و(ربِّكَ) مضاف إِليه مجرور بالكسرة ، و(ذو) صفة وجه ، فأخذت حكمه فرفعت بـ (الواو) ؛ لأَنَّها ـ كما تقدَّم ـ من الأَسماء الخمسة ، و(الجلال) مضاف إِليه ، و(الإِكرام) معطوف على الجلال.

---

(١) مرجع الضمير : (وجه الرَّبّ).

(٢) مرجع الضمير : (اسم وصفة : (ذو الجلال) و(ذو الإِكرام)).

(٣) الرحمٰن : ٢٧.

وإِلى كلِّ هذا تُشير بيانات الوحي الواردة في حقِّ طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة ، منها :

البيان الأَوَّل : بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه[١] : «**... لا تجعلونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم ؛ فإِنَّكم لا تبلغون كُنْه ما فينا ولا نهايته ؛ فإِنَّ اللَّـه (عزَّوجلَّ) قد أَعطانا أَكبر وأَعظم مِـمَّا يصفه واصفكم ، أَو يخطر على قلب أَحدكم ، فإِذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون... لا تسمُّونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم ؛ فإِنَّكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله اللَّـه لنا ، ولا معشار العشر...**»[٢] .

ودلالته قد اتَّضحت ؛ فإِنَّ جملة صفات الذات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة وأَسمآئه وكمالاته وفضائله وشؤونه (تقدَّس ذكره) قد انعكست وظهرت وتجلَّت في طبقات حقائقهم صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة ، منها : (صفة اللاتناهي) ، ومن ثَمَّ كيف يُحيط المتناهي بكُنْه اللامتناهي ، وبكُنْه صفاته وأَسمآئه وكمالاته وأَفعاله وفضائله وشؤونه اللامتناهية.

وهذا ما يُشير إِليه صلوات اللَّـه عليه بقوله : «**وقولوا في فضلنا ما شئتم ؛ فإِنَّكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله اللَّـه لنا ، ولا معشار العشر**»؛

---

(١) **يجدر الالتفات** : أَنَّ هذا البيان الشريف مستفيض ، بل متواتر عن أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم ؛ فإِنَّ الثابت بالإِستقراء الناقص أَنَّه وارد عنهم عليهم السلام بإِثني عشر طريق. وإِذا ضُمّ إِلى مرادفاته العقليَّة ـ منها : ما سيأتي (إِنْ شآء اللَّـه تعالىٰ) في الدليل والبيان الثاني والثالث ـ يصبح سنده فوق المتواتر.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١ـ٧/ ح١.

فإنَّ (لن) تفيد التأبيد في طُرِّ النَّشَآة والعوالم منها : عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة وما بعده ، كما هو واضح.

بل وتُشير إليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام : «... **أَيُّها النَّاس إنِّي لو قمتُ حولاً فحولاً أذكر الَّذي أعطانا الله (عزَّوجلَّ) وخصَّنا به من الفضل في كتابه وعلى لسان نبيِّه صلى الله عليه وآله لم أُحصه** ...» (١).

وبيان الإمام الكاظم عليه السلام : «... **لا تعجب ، فما خفي عليك من أَمر الإمام أَعجب وأَكثر ، وما هذا من الإمام في علمه إلَّا كطيرٍ أَخَذَ بمنقاره من البحر قطرة من ماء ، أَفَتَرىٰ الَّذي أخذ بمنقاره نقص من البحر شيئاً؟ قال : فإنَّ الإمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده ، وعجائبه أَكثر من ذلك ، والطَّير حين أَخذ من البحر قطرة بمنقاره لم ينقص من البحر شيئاً** ...» (٢).

والنكتة : واضحةً أَيضاً ؛ فإنَّ المخلوق مهما علا شأوه وشأن كُنْهه يبقىٰ متناهي على مَرِّ النَّشَآة والعوالم ، فكيف يُحيط بكُنْه وحقيقة اللامتناهي ، وبكُنْه وحقيقة صفاته وأَسمآئه وأَفعاله وكمالاته وفضائله وشؤونه. وإلَّا لانقلبت ماهيَّة اللامتناهي وصارت متناهية ، وبطلان ـ بل واستحالة ـ انقلاب الماهيَّة من الواضحات ، بل وخلف الفرض.

وهذا ما قرَّره أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم في قاعدة معرفيَّة وعقليَّة

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٠ : ١٤٢.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٦ : ١٩٠ ـ ١٩١/ ح٢. قرب الإسناد : ١٤٤.

جزلة وبديهيَّة ، خطيرة الثمار ، عظيمة الفائدة ، يأتي (إِنْ شاء اللَّـه تعالىٰ) التَّعَرُّض لبيانها وبيان أَدلَّتها [١]، وهي : **(أَنَّ مَنْ وصف شيئاً بكُنْه كان أَعظم من الموصوف)**.

وهذه القاعدة الشَّريفة تنحلُّ إِلى قاعدتين :

الأُولىٰ : (أَنَّ مَنْ وصف شيئاً بالكُنْه فقد أَحاط به).

الثَّانية : (أَنَّ مَنْ أَحاط بشيءٍ كان أَعظم منه).

والمراد من الإِحاطة في هذه القاعدة : أَعمُّ من التَّجرُّديَّة والعقليَّة والجسميَّة [٢] .

وهذه القاعدة غفلت عنها أَجيال العلماء ، بل لم يُسلِّم بها فلاسفة الإِماميَّة فضلاً عن غيرهم مع بداهتها ، نعم سلَّم بها أَهل المعرفة ، اقتباساً من بيانات الوحي ، وتفطَّنوا إِلى إِشاراتها [٣] الإِرشاديَّة ؛ وأَنَّ كُلَّ معرفةٍ بالذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة لا تخرج عن الظُّهور والتَّجلِّي ، أَي : معرفة بالآيات.

وعليه : فلا يمكن لجملة المخلوقات من رأس هرمها ؛ فعل اللَّـه ومخلوقه الأَوَّل : سيِّد الأَنبياء ﷺ فما دون وصف كُنْه (الذَّات الأَزليَّة المُقدَّسة) أَزلاً وأَبداً ، وعبر جملة العوالم والنَّشَآت ، وإِلَّا فدعوىٰ كفر وإِلحاد.

---

(١) مَنْ أَراد الإِطِّلاع على بيان هذه القاعدة وبيان أَدلَّتها فليراجع ما سيأتي (إِنْ شاء اللَّـه تعالىٰ) في باب الأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة في مسألة خاصَّة بها.

(٢) سيأتي (إِنْ شاء اللَّـه تعالىٰ) التعرُّض لأَنواع الإِحاطة وضروبها في المُقدّمة السابعة فانتظر.

(٣) مرجع الضمير : (بيانات الوحي).

وهذا أَحد تفاسير بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (١).

نعم ، يمكن للمخلوق معرفته (سبحانه وتعالىٰ) من وجه ، ومن خلال أَسمائه وصفاته وأَفعاله وآثاره ، وهذه المعرفة على درجات لا متناهية.

وعلى هذا قس معرفة فعل اللَّـه ومخلوقه الأَوَّل ؛ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ؛ فإِنَّه لا يمكن لبقيَّة جملة المخلوقات من فعل اللَّـه ومخلوقه الثاني أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه فما دون معرفته صلى الله عليه وآله ووصفه بالكُنْه.

وهذا ما أَشارت إِليه بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله تعالىٰ ذكره : ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (٢).

وهكذا الحال في معرفة فعل اللَّـه ومخلوقه الثاني ؛ أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه ؛ فإِنَّه لا يمكن لبقيَّة جملة المخلوقات من فعل اللَّـه ومخلوقه الثالث فاطمة الزهراء صلوات اللَّـه عليها فما دون معرفته صلوات اللَّـه عليه ووصفه بالكُنْه.

وهذا ما أَشارت إِليه بيانات الوحي أَيضاً ، منها :

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله مخاطباً أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه : «**ما عرَفَكَ إِلَّا اللَّـه وأَنا**» (٣).

---

(١) آل عمران : ٢٨.

(٢) الفرقان : ٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب ، ٣ : ٢٦٧. إِرشاد القلوب ، ٢ : ٢٠٩.

وكذا الحال في معرفة فعل اللَّـه ومخلوقه الثالث ؛ فاطمة الزهراء صلوات اللَّـه عليها ؛ فإِنَّه لا يمكن لبقيَّة كافَّة المخلوقات ، وفي جملة عوالم الخلقة أَبد الآباد ودهر الدهور من فعل اللَّـه ومخلوقه الرَّابع الإِمام الحسن المجتبىٰ صلوات اللَّـه عليه فما دون معرفتها صلوات اللَّـه عليها ووصفها بالكُنْه.

وعلى هذا قس حال بقيَّة أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم بحسب مراتبهم في الحُجِّيَّة.

وإِلى جملة ذلك أَشارت بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، عن جابر بن عبداللَّـه الأَنصاري ، قال : «... **فقلتُ : يا رسول اللَّـه ، هذه حالنا فكيف حالكَ و حال الأَوصياء بعدكَ في الولادة ؟ فسكت رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله مليّاً ثُمَّ قال : يا جابر ، لقد سألت عن أمرٍ جسيم ، لا يحتمله إِلَّا ذو حظ عظيم ، إِنَّ الأَنبياء و الأَوصياء مخلوقون من نور عظمة اللَّـه جلّ ثناؤه ... فأمرهم يجلُّ عن أَنْ يوصف ، وأَحوالهم تدّقُّ عن أَنْ تُعلم ؛ لأَنَّهم نجوم اللَّـه في أَرضه ... وأَنواره في بلاده ... يا جابر ، هذا من مكنون العلم ومخزونه ، فاكتمه إِلَّا من أَهله**»[1] .

٢ـ بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه : «... **مَنْ ذا ينال معرفتنا أَو يعرف درجتنا أَو يشهد كرامتنا أَو يدرك منزلتنا ؟ حارت الأَلباب والعقول ، وتاهت الأَفهام فيما أَقول ، تصاغرت العظماء وتقاصرت العلماء ، وكلَّت الشعراء ، وخرست البلغاء ، ولكنت الخطبآء ، وعجزت الفصحآء ،**

(١) بحار الأَنوار ، ٥٧ : ٣٥٢ ـ ٣٥٣/ ح٣٦. الفقيه : ٥٨٩.

وتواضعت الأَرض والسمآء عن وصف شأن الأَوليآء. وهل يُعرف أو يُوصف أو يُعلم أَو يُفهم أَو يُدرك أَو يُملك من هو شعاع جلال الكبريآء ، وشرف الأَرض والسَّمآء ؟ جلَّ مقام آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله عن وصف الواصفين ونعت الناعتين ، وأَنْ يُقاس بهم أَحد من العالمين ، كيف وهم الكلمة العليآء، والتَّسمية البيضاء ، والوحدانيَّة الكبرىٰ الَّتي أَعرض عنها من أَدبر وتولَّىٰ ، وحجاب اللَّـه الأَعظم الأَعلىٰ...» (١) .

٣ـ بيان الإِمام الصَّادق صلوات اللَّـه عليه ، عن مالك بن أَعين ، قال: «**أَقبل إِلَيَّ أَبو عبداللَّـه عليه السلام فقال : ... يا مالك ، تراك فقد أَفرطت في القول في فضلنا ؟ إِنَّه ليس يقدر أَحد على صفة اللَّـه وكُنْه قدرته وعظمته ، فكما لا يقدر أَحد على كُنْه صفة الله وكُنْه قدرته وعظمته ، وللَّـه المثل الأَعلىٰ ، فكذلك لا يقدر أَحد على صفة رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله وفضلنا ، وما أَعطانا اللَّـه ، وما أَوجبه من حقوقنا ...**» (٢) .

ودلالة الجميع واضحة.

وبالجملة : مَنْ يتخيَّل إِمكانيَّة إِكتناه (الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة) ، أَو إِمكانيَّة إِكتناه حقائق وذوات : (الأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة) أَو (الآيات الإِلٰهيَّة الكبرىٰ) أَو (المخلوقات العظمىٰ) طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة ولو كان ذلك تخيُّلاً بسبر فكره وبقراءته ومطالعته للمباحث الفكريَّة والمعرفيَّة والعقائديَّة والفلسفيَّة فقد ارتطم ـ كما يرتطم

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦٩ـ١٧٤/ ح٣٨.

(٢) المصدر نفسه ، ٧١ : ٢٢٦/ ح١٨. المحاسن : ١٤٣.

الحمار بالطين ـ بالوهم والكفر والإلحاد الجلي أَو الخفي شعر بذلك أَم لا ، ووقع في محذور الفرعونيَّة ، وصار جبتاً وطاغوتاً ، وصيَّر نفسه صنماً ليُعكف ويُطاف عليها.

بعد الالتفات : أَنَّ حقيقة صنم الفكر تكمن في أَن يُجعل طواف الفكر حول غير المعصوم.

ومن كُلِّ **هذا تتَّضح** : كثير من بيانات الوحي ، منها :

بيان سيِّد الأَنبياء مخاطباً أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما : «**ما عرفني إِلَّا اللّـه وأنتَ**»(١) ؛ فإِنَّ معرفة الباري (تبارك اسمه) بسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله معرفة ووصف بالكُنْه ، ومعرفة أَمير المؤمنين عليه السلام به صلى الله عليه وآله معرفة ووصف بوجه ، أَي : من خلال أَسمائه صلى الله عليه وآله وصفاته وأَفعاله وآثاره.

نعم ، المعرفة في بيان قوله صلى الله عليه وآله مخاطباً أَمير المؤمنين عليه السلام أَيضاً : «**ما عرفكَ إِلَّا اللّـه وأَنا**»(٢) أَنَّ كلا المعرفتين بالكُنْه.

بخلاف بيانه صلى الله عليه وآله مخاطباً أَمير المؤمنين عليه السلام أَيضاً : «**ما عرف اللّـه إِلَّا أَنا وأَنتَ**»(٣) أَنَّ كلا المعرفتين من وجهٍ ، ومن خلال الأَسمآء والصفات والأَفعال والآثار الإِلٰهيَّة.

---

(١) مختصر بصائر الدرجات : ١٢٥. مناقب آل أَبي طالب ، ٣ : ٢٦٧. إِرشاد القلوب ، ٢ : ٢٠٩.

(٢) مختصر بصائر الدرجات : ١٢٥.

(٣) المصدر نفسه.

خلط الملائكة بين الذات المُقدَّسة وحقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة

ومن كُلِّ ما تقدَّم تتَّضح : نكتة حصول الخلط والإِشتباه لدىٰ جملة الملائكة عليهم السلام ـ منهم المُقرَّبين ؛ كـ : إِسرافيل وجبرئيل عليهما السلام ، مع أَنَّ الجميع معصومون ـ وعدم تمكُّنهم من التمييز بين صفات وأَسمآء وكمالات وشؤون: (الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة) ، وبين صفات وأَسمآء وكمالات وشؤون : (طبقات حقائق سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة) ؛ والنكتة هي ما تقدَّم : من أَنَّ جملة صفات وأَسمآء وكمالات وشؤون الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ـ إِلَّا الأُلوهيَّة ـ قد انعكست وتجلَّت وظهرت في تلك الطبقات المهولة العظيمة الخطيرة الشَّريفة إِفاضة من الذَّات المُقدَّسة.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «... **أَوَّل ما خلق اللَّـه عزَّوجلَّ : خلق أَرواحنا ... ثُمَّ خلق الملائكة فلمَّا شاهدوا أَرواحنا نوراً واحداً استعظموا أَمرنا فسبَّحنا ؛ لتعلم الملائكة : أَنَّا خلق مخلوقون ، وأَنَّه مُنزَّه عن صفاتنا ، فسبَّحت الملائكة بتسبيحنا ونزَّهته عن صفاتنا ، فلمَّا شاهدوا عظم شأننا هلَّلنا؛ لتعلم الملائكة : (أَنْ لا إِلٰه إِلَّا اللَّـه) وأَنَّا عبيد ، ولسنا بآلهة يجب أَن نُعبد معه ، أَو دونه، فقالوا : (لا إِلٰه إِلَّا اللَّـه) ، فلمَّا شاهدوا كبر محلّنا كبَّرنا ؛ لتعلم الملائكة : أَنَّ اللَّـه أَكبر من أَنْ ينال عظم المحل إِلَّا به ، فلمَّا شاهدوا ما جعله لنا من العزَّة والقوَّة قلنا : (لا حول ولا قوَّة إِلَّا باللَّـه) ؛ لتعلم الملائكة :**

أَن لاحول لنا ولا قوَّة إِلَّا باللَّـه ، فلَمَّا شاهدوا ما أَنعم اللَّـه به علينا وأَوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا : (الحمد للَّـه) ؛ لتعلم الملائكة : ما يحقُّ للَّـه تعالىٰ ذكره علينا من الحمد على نعمته فقالت الملائكة : (الحمد للَّـه) ، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد اللَّـه وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده ...» (١) .

٢ـ بيان حديث المعراج ، عن الإِمام الصادق عليه السلام : «... إِنَّ اللَّـه (العزيز الجبَّار) عرج بنَبيِّه إِلى سبعاً ... ثُمَّ عرج به إِلى السمآء الدُّنيا فنفرت الملائكة إِلى أَطراف السمآء ثُمَّ خرَّت سُجَّداً فقالت : (سبوح قدوس ربّنا وربّ الملائكة والروح) ، ما أَشبه هذا النُّور بنور ربّنا. فقال جبرئيل عليه السلام: (اللَّـه أكبر ، اللَّـه أكبر). فسكتت الملائكة ، وفتحت أَبواب السَّماء ، واجتمعت الملائكة ثُمَّ جاءت فسلَّمت على النَّبيّ صلى الله عليه وآله أَفواجاَ ... ثُمَّ عرج به إِلى السمآء الثانية ، فلَمَّا قرب من باب السمآء تنافرت الملائكة إِلى أَطراف السَّمآء وخرَّت سجَّداً وقالت: (سبُّوح قدوس ربّ الملائكة والرُّوح ، ما أَشبه هذا النور بنور ربّنا). فقال جبرئيل عليه السلام : (أَشهد أَنْ لا إِلٰه إِلَّا اللَّـه ...) فاجتمعت الملائكة وفتحت أَبواب السمآء ، وقالت : يا جبرئيل ، مَنْ هذا معك ؟ فقال : هذا محمَّد صلى الله عليه وآله ... قال : رسول صلى الله عليه وآله : ... ثُمَّ عُرج بي إِلى السَّماء الثالثة فنفرت الملائكة إِلى أَطراف السَّمآء ، وخرَّت سجَّداً ... ثُمَّ عُرج بي إِلى السَّمآء الرابعة...» (٢) .

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٤٥ ـ ٣٤٧/ ح٥٦. علل الشرائع : ١٣ ـ ١٤. عيون أَخبار الرضا عليه السلام : ١٤٤ـ١٤٦.

(٢) بحار الأَنوار ، ٧٩ : ٢٣٧ ـ ٢٤٢/ ح١. علل الشرائع ، ٢ : ٢ـ٦. الكافي ، ٣ : ٤٨٢ ـ ٤٨٦.

٣ـ بيان حديث المعراج ، عن الإمام الصادق عليه السلام أَيضاً : «... **إنَّ رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله كان نائماً في ظلِّ الكعبة ، فأَتاه جبرئيل عليه السلام ... فأيقظه ... ثُمَّ صعد به حتَّىٰ انتهىٰ إِلى أَبواب السَّمآء ، فلمَّا رأته الملائكة نفرت عن أَبواب السَّمآء وقالت : (إِلٰهين ؛ إِلٰه في الأَرض وإِلٰه في السَّمآء ، فأمر اللَّـه جبرئيل فقال : (اللَّـه أَكبر...) ، فتراجعت الملائكة نحو أَبواب السَّمآء وعلمت أَنَّه مخلوق ؛ ففتحت الباب ، فدخل رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله حتَّىٰ انتهىٰ إلى السَّمآء الثانية ، فنفرت الملائكة عن أَبواب السَّمآء فقالت : (إِلٰهين ؛ إِلٰه في الأَرض ، وإِلٰه في السَّمآء) فقال جبرئيل : (أَشهد أَنْ لا إِلٰه إِلَّا اللَّـه ...) فتراجعت الملائكة وعلمت أَنَّه مخلوق ثُمَّ فُتح الباب فدخل عليه السلام...**» (١) .

ودلالة الجميع قد اتَّضحت ، ولا غبار عليها ، فتأمَّل جيِّداً.

خلوّ المقام وهذه الأَبحاث من شائبة الغلو

لا شائبة ولا شبهة غلو في مقامات أُهل البيت عليهم السلام

ولخطورة هذه الأَبحاث المعرفيَّة والتَّوحيديَّة نُعيد ما ذكرناه سلفاً بشيءٍ من التَّفصيل ، فنقول : ثُمَّ إِعلم أَنَّه لا تُوجد في جملة هذه الأَبحاث وما سيأتي (إِنْ شاء اللَّـه تعالىٰ) أَيّ شائبة غلوّ ـ وخروج عن الجادَّة والمنزلة الوسطىٰ الَّتي ليلها كنهارها جادَّة ومنزلة أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم، وهي الديانة الَّتي من تقدَّمها مرق ، ومن تخلَّف عنها محق ، ومن لزمها لحق ، والَّتي لا تخرج إِلى عوج، ولا تزيل عن منهج الحقّ ، ولا تجد لها بديلاً ، ولن تجد لها

(١) تفسير العيَّاشي ، ١ / رقم : (٥٣١) : ١٧٧ ـ ١٧٨.

تحويلاً ، نعم، هي دقيقة الوزن ، حادَّة اللِّسان ، صعبة التَّرَقِّي حتَّىٰ على الحاذق اللَّبيب ـ لأَنَّنا نعضُّ بضرس قاطعٍ على ضابطةٍ وقاعدةٍ معرفيَّةٍ وعقليَّةٍ بديهيَّةٍ ، مستفادة من بيانات الوحي ، ضربها وقنَّنها علماء المعقول في القرنين الأَخيرين في باب الغلوّ والتقصير ، سيأتي (إِنْ شاء اللَّـه تعالىٰ) بيانها في بابها ، مضروبة للتمييز بين الغلوّ والتقصير في صفات الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ صاحب الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة (جلَّ ذكره) وأَسمائه وأَفعاله وكمالاته وشؤونه، وصفات المخلوق وأَسمائه وأَفعاله وكمالاته وشؤونه ، وهي : «أَنَّ صفات الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (تقدَّس ذكره) وأَسمائه وأَفعاله وكمالاته وشؤونه تحكمها وواقعة في إِطار ضابطة : (ما منه الوجود) ، بخلاف صفات المخلوق وأَسمائه وأَفعاله وكمالاته وشؤونه فتحكمها وواقعة في إِطار ضابطة : (ما به الوجود)».

فصفة : (اللاتناهي) والأَسمآء ـ كالأَسمآء الذاتيَّة الواردة في سورة الإِخلاص : (الأَحد ، والصمد ، ولم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أَحَد) ـ والأَفعال والكمالات والشؤون إِذا نُسبت وأُسندت إلى الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ وتقدَّس) كصفات وأَسماء وأَفعال وكمالات وشؤون إِلٰهيَّة فالمراد منها : (ما منه الوجود). أَمَّا إِذا نُسبت وأُسندت إِلى المخلوق كصفات وأَسمآء وأَفعال وكمالات وشؤون مخلوقة فالمراد منها : (ما به الوجود) ، وحينئذٍ لا إِشكال ولا شبهة ولا شائبة غلو في المقام ؛ بعدما أُفيضت وتجلَّت وظهرت وانعكست في المخلوق من الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، فأين شائبة الغلوّ بعدما كان الجميع من ساحة القدس الإِلٰهيَّة.

بل هذه الضابطة أُستحدثت في الآونة الأَخيرة وتوسَّعت بقاعدة وضابطة بديهيَّة أَيضاً ، أَكثر دِقَّة وغوراً وعمقاً ، وهي : «أَنَّ ما منه الوجود على ضربين : أَحدهما : (ما منه الوجود أَصالة وبالذات). الآخر : (ما منه الوجود حكاية ومن الغير)».

والأَوَّل مختصٌّ ومنحصرٌ بـ : (الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة) أَزلاً وأَبداً.

وإِلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله جلَّ قوله : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (١) .

٢ـ بيان قوله عزَّ قوله : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (٢) .

ودلالتهما قد اتَّضحت.

والثَّاني وجود ظلِّي وحاكٍ ، يأتي في الممكنات ، مفاض عليها من ساحة القدس الإِلٰهيَّة.

نظيره : المرآة المنطبعة فيها صورة الشَّاخص الخارجي.

وإِلى هذا تُشير بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

١ـ بيان قوله عزَّ من قائل الحاكي لخبر النَّبيّ عيسىٰ عليه السلام في إِحتجاجه على بني إِسرائيل : ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ

---

(١) صٓ : ٧٢.

(٢) الزمر : ٤٢.

﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١).

٢ـ بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (٢).

٣ـ بيان قوله تعالىٰ ذكره : ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (٣).

٤ـ بيان قوله جلَّ ذكره : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (٤).

ودلالة الجميع واضحة.

٥ـ بيان أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه : «... **يا أَيُّها النَّاس ، لعلَّكُم لا تسمعون قائلاً يقول مثل قولي بعدي إِلَّا مفتر ... أَنا موتم البنين والبنات ، أَنا قابض الأَرواح...**» (٥).

٦ـ بيانه صلوات اللّـه عليه أَيضاً : «... **أَنَا أُحيي وأُميت بإِذن ربِّي ، أَنا أُنبئكم بما تأكلون ، وما تدَّخرون في بيوتكم بإِذن ربِّي وأَنا عَالِم بضمائر قلوبكم،**

---

(١) آل عمران : ٤٩.

(٢) الأَنعام : ٦١.

(٣) محمَّد : ٢٧.

(٤) السجدة : ١١.

(٥) بحار الأَنوار ، ٥٣ : ٤٥/ح١.

والأَئمَّة من أَولادي عليهم السلام يعملون ويفعلون هذا إِذا أَحَبُّوا وأَرادوا ...» (١).

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة ، ومضمونه نفس مضمون البيانات الوحيانيَّة المُتقدِّمة ، لا سيما البيان الأَوَّل ؛ فإِنَّ أَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم لَـمَّا كانوا أَشرف وأَكمل المخلوقات ، وأَعلاها وجوداً ومقاماً ورتبةً ، وكانوا وسائط الفيض الإِلٰهي لجملة العوالم وسائر المخلوقات فما أُعطي لبقيَّة جملة المخلوقات من شرفٍ وعزَّةٍ وكمالٍ وفضلٍ ومقامٍ ورتبةٍ فبالأَولىٰ يُعطىٰ لهم صلوات اللَّـه عليهم وزيادة.

وهذا برهانٌ عقليٌّ بديهيٌّ.

ومن ثَمَّ ما تمتَّع به النَّبيّ عيسىٰ عليه السلام وبقيَّة المخلوقات المُكرَّمة ؛ منهم : إِسرافيل وعزرائيل عليهما السلام تمتَّع به أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم وزيادة ؛ فيحيون ويميتون بفعلٍ أَلطف ، وأَعظم هيمنة ، وأَشدُّ سلطنة وقدرة وقوَّة على وفق القاعدة ؛ ومن دون أَيّ شائبة غلوّ في المقام.

بل البراهين والبيانات الوحيانيَّة قائمة على ذلك.

فلاحظ ، منها :

١ـ بيان الإِمام زين العابدين عليه السلام ، عن الثمالي ، قال : «**قلتُ له : جُعِلْتُ فداك ، الأَئمَّة يعلمون ما يُضمر ؟ فقال : علمتُ واللَّـه ما علمت الأَنبياء والرُّسل ، ثُمَّ قال لي : أزيدكَ ؟ قلتُ : نعم. قال : ونزاد ما لم تزد**

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١ـ٧/ ح١.

الأَنبياء» (١).

٢ـ بيان الإِمام الصادق عليه السلام : **«إِنَّ عيسىٰ بن مريم عليه السلام أُعطي حرفين كان يعمل بهما ، وأُعطي موسىٰ عليه السلام أَربعة أَحرف ، وأُعطي إِبراهيم عليه السلام ثمانية أَحرف ، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً ، وأُعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإِنَّ اللَّـه تبارك وتعالىٰ جمع ذلك كلّه لمحمَّد صلى الله عليه وآله** (٢)**، وإِنَّ اسم اللَّـه الأَعظم ثلاثة وسبعون حرفاً ، أَعطىٰ** (٣) **محمَّداً صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفاً ، وحجب عنه حرفاً واحداً»** (٤).

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

الإِماتة وبقيَّة الأَفعال الإِلهيَّة على طبقات

وَمِنْ كُلِّ ما تقدَّم يتَّضح : أَنَّ الإِماتة على مراتب وطبقات ودرجات من حيث الغلظة واللطافة.

أَحدها : ما يقوم به جنود عزرائيل عليهم السلام.

ثانيها : أَلطف وأشف ، وهي : ما يقوم به عزرائيل عليه السلام.

ثالثها : أَلطف وأَشف مِمَّا يقوم به عزرائيل عليه السلام ، وهي : ما يقوم به الاسم الإِلٰهي (المميت) ، وهو : أَحد طبقات حقيقة أَمير المؤمنين وحقائق

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٥٥/ ح١١٤. بصائر الدرجات : ٦٦.

(٢) في البصائر : (وإِنَّه جمع اللَّـه ذلك لمحمَّد صلى الله عليه وآله وأَهل بيته).

(٣) في البصائر : (أَعطىٰ اللَّـه).

(٤) بحار الأَنوار ، ١٧ : ١٣٤/ ح١١. أُصول الكافي ، ١ : ٢٣٠. بصائر الدرجات : ٥٧.

بقيَّة أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة في مرتبة الأَسمآء والصفات الإِلٰهيَّة. وهذا ما تُشير إِليه بياناتهم صلوات اللَّـه عليهم ، منها : ما تقدَّم ، ويضاف إِليها : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام أَيضاً ، مُخاطباً الحارث الهمداني : «**يا حار همدان ، من يمت يرني ، من مؤمن أَو منافق قبلاً**» (١) . وبيانه صلوات اللَّـه عليه أَيضاً ، عن عبد الرحيم القصير ، قال : «قلت لأَبي جعفر عليه السلام: حدَّثني صالح بن ميثم ، عن عباية الأَسدي أَنَّه سمع عليّاً عليه السلام يقول : **واللَّـه، لا يبغضني عبد أَبداً يموت على بغضي إِلَّا رآني عند موته حيث يكره ، ولا يحبّني عبداً أَبداً فيموت على حبِّي إِلَّا رآني عند موته حيث يحب**. فقال أَبو جعفر عليه السلام: **نعم، ورسول اللَّـه صلى الله عليه وآله باليمين**» (٢) .

رابعها : وهي الأَلطف والأَشدُّ على الإِطلاق والمهيمنة على جميع ذلك ما يقوم به : (الـمُميت) ـ المُسَمَّىٰ ـ صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة.

وعلى هذا قس الإِحياء وبقيَّة الأَفعال والصفات والأَسماء والشؤون (٣) .

---

(١) بحار الأَنوار ، ٦ : ١٨١.

(٢) المصدر نفسه، ٣٩ : ٢٣٨/ ح٢٥. فروع الكافي ، ٣ : ١٣٢ـ١٣٣.

(٣) هناك خلط حصل لدىٰ البعض بين الفاعل بالآلة ـ كحال عزرائيل وإسرافيل وجندهما عليهم السلام ـ ، والفاعل بالتَّجلِّي ـ كحال الباري المُسَمَّىٰ (تعالىٰ ذكره) ، والأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة ؛ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ـ وحكم بالوحدة.

والحقُّ : أَنَّ بينهما فرق وبون شاسع ؛ فإِنَّ الفاعل بالآلة ناقص ؛ لإِحتياجه إِلى حركة ، وقرب وبُعد ، ومُوازاة ، ومباشرة ومعالجة. بخلاف الفاعل بالتَّجلِّي ؛ فإِنَّه أَكمل أَنواع الفاعل ، ولا نقص فيه ؛ ومن ثَمَّ لا يحتاج إِلى جملة ذلك.

وإِلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها : ←

فأَين الغلوّ في المقام.

نكتة عدم استيعاب عقول المخلوقات لشؤون أَهل البيت عليهم السلام

نعم ، لَـمَّا كانت هذه المعارف الإِلٰهيَّة بكراً لم تُفتق من قبل قطُّ بهذا الشَّكل والبيان ، ولم يُنبس بها ببنت شفة مع أَنَّ بيانات الوحي زاخرة بها فمن الطبيعي يحصل فيها توقُّف وتردُّد لدىٰ مَنْ يُخبر من ضعيفيِّ الإِيمان بمقاماتهم صلوات اللَّـه عليهم وبصفاتهم وأَسمائهم وكمالاتهم وفضائلهم وشؤونهم وأَحوالهم ؛ وإِنْ قام عليها الدَّليل القطعي.

مضافاً : أَنَّ ما جادت به يد ساحة القدس الإِلٰهيَّة على أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم عطايا لا تتحمَّل تصوُّرها طاقة وقابليَّة مخلوق قَطُّ ، ولا يمكن خطورها على بالٍ قَطُّ فمن الطبيعي أَيضاً حصول توقُّف وتردُّد لدىٰ من يطَّلع عليها من ضعيفيِّ الإِيمان أَو يُخبر بها وإِنْ قام عليها الدَّليل القطعي.

بعد الإِلتفات : أَنَّ لازم ذلك التوقُّف والشَّكّ والتردُّد : إِلحاد وشرك وكفر باللَّـه (العزيز الجبَّار). وهذا ما نبَّهت عليه وحذَّرت منه بيانات الوحي ، منها:

← بيان الإِمام الصادق عليه السلام في ردِّه على سؤال الزنديق : «... فما هو ؟ قال أَبو عبداللَّـه عليه السلام : **هو الرَّبُّ ، وهو المَعْبُود ، وهو اللَّـهُ** ... قال السَّائلُ : فيُعاني الأَشياء بنفسه ؟ قال أَبو عبداللَّـه عليه السلام : **هو أَجَلُّ من أَنْ يُعَانِيَ الأَشياء بمباشرةٍ ومعالجةٍ ؛ لأَنَّ ذلك صِفَةُ المخلوق الَّذي لا تجِيءُ الأَشياءُ له إِلَّا بالمباشرةِ والمعالجةِ ، وهو مُتعَالٍ نافِذُ الإِرادة والمشِيئَة ، فَعَّالٌ لِـمَا يَشاءُ**». أُصول الكافي ، ١ : ٥٩ـ ٦١/ ح٦.

ودلالته واضحة.

١ـ إِطلاق بيان الحديث القدسي : «... **يا مُـحَمَّد ... وعزَّتي وجلالي، لو لقيني جميع خلقي يشكُّونَ فيكَ طرفة عين ، أَو يبغضون صفوتي مِنْ ذُرِّيَّتكَ لأَدخلتهم ناري ولا أُبالي...**» (١) .

٢ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**إِنَّ حديث آل مُـحمَّد صعب مستصعب ، لا يؤمن به إِلَّا مَلَك مُقَرَّبٌ ، أَو نَبِيٌّ مرسل ، أَو عبد امتحن اللَّـه قلبه للإِيمان... وإِنَّما الهالك : أَنْ يُحدِّث بشيءٍ منه لا يحتمله فيقول : واللَّـه ، ما كان هذا شيئاً ، والإِنكار هو الكفر**» (٢) .

٣ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام ، عن جابر بن يزيد ، قال : «... **يا جابر ، حديثنا صعب مستصعب ، أَمرد ، ذكوان ، وعر أَجرد ، لا يحتمله واللَّـه إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَل ، أَو مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، أَو مؤمن مُمتحن ، فإذا ورد عليك يا جابر شيءٌ من أَمرنا فلان له قلبكَ فاحمد اللَّـه ، وإِنْ أَنكرته فردَّه إِلينا أَهل البيت ، ولا تقل: كيف جاء هذا ؟ وكيف كان ؟ وكيف هو ؟ فإِنَّ هذا واللَّـه الشرك باللَّـه العظيم**» (٣) .

ودلالتها واضحة.

وبالجملة : لعظم هول ما أُعطي لأَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم وعظم خطره يحصل لدىٰ من يطَّلع عليها أَو يُخبر بها وإِنْ كان بدليل قطعيٍّ يقينيٍّ توقُّفاً أَو شَكّاً أَو تردُّداً أَو إِلحاداً أَو شركاً أَو كفراً بعضه جليّ ، والآخر

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٩٧/ ح١٠٠ . اليقين في أُمرة أَمير المؤمنين : ٨٩ ـ ٩١.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٨٩/ ح٢١.

(٣) المصدر نفسه : ٢٠٨/ ح١٠٢.

خفيّ على دركات لا متناهية ، مشمولة ببيان قوله تعالىٰ : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾(١)، يرجع إلى مدىٰ تحمُّل قابليَّات واستعدادات المخلوق.

حيلولة أَهل البيت عليهم السلام مِنْ نشر علومهم عند مَنْ لا يتحمَّلها

ولأَجل الحيلولة من وقوع المخلوقات وفي طرِّ العوالم ؛ في هذه المحاذير المعرفيَّة العقائديَّة الجسيمة الخطيرة الفادحة ، القاصمة للظهر ، بل لا تبقي ولا تذر منع أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم نشر علومهم عند مَنْ لا يتحمَّلها ، بل سيرتهم قائمة على ذلك.

فانظر : بيناتهم صلوات اللَّـه عليهم ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام في وصيَّته لكميل بن زياد : «... **يا كميل ، كُلّ مصدور ينفث ، فمن نفث إِليكَ مِنَّا بأمرٍ أَمركَ بستره فإِيَّاك أَنْ تبديه ، فليس لَكَ من إِبدائه توبة ، فإِذا لم تكن توبة فالمصير إِلى لظىٰ. يا كميل ، إذاعة سرّ آل مُـحمَّد عليهم السلام لا يقبل اللَّـه تعالىٰ منها ولا يحتمل أحداً عليها. يا كميل ، وما قالوه لكَ مطلقاً فلا تُعَلِّمه إِلَّا مؤمناً موفَّقاً ...**»(٢).

٢ـ بيان الإِمام زين العابدين عليه السلام : «... **فأنتم الآن العارفون الفائزون المستبصرون ، وأَنتم الكاملون البالغون ، اللَّـه اللَّـه لا تطّلعوا أَحداً من المقصِّرين المستضعفين على ما رأيتم مِنِّي ومن مُـحمَّد فيشنِّعوا عليكم**

---

(١) يوسف : ١٠٦.

(٢) بحار الأَنوار ، ٧٤ : ٢٧٠/ح١.

ويُكذِّبوكم ...» (١).

٣ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «**... ما سترنا عنكم أَكثر مِمَّا أَظهرنا لكم ...**» (٢).

٤ـ إِطلاق بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**إِنِّي لأُحدِّث الرَّجُل الحديث فينطلق فيُحدِّث به عنِّي كما سمعه ، فأستحلُّ به لعنه والبراءة منه**» (٣).

٥ـ إِطلاق بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن داود بن كثير ، قال : «قال لي أَبو عبداللَّـه عليه السلام : **يا داود ، إِذا حدَّثتَ عنَّا بالحديث فاشتهرت به فأنكره**» (٤).

٦ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن أَبي سعيد المدائني ، قال : «قال أَبو عبداللَّـه عليه السلام: **اقرأ موالينا السَّلام ، وأَعلمهم : أَنْ يجعلوا حديثنا في حصون حصينة ، وصدور فقيهة ، وأَحلام رزينة ، والَّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة ما الشَّاتم لنا عرضاً والنَّاصب لنا حرباً أَشدُّ مؤونة من المذيع علينا حديثنا عند مَنْ لا يحتمله**» (٥).

ودلالة الجميع واضحة.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١٦/ ح٢.

(٢) بصائر الدرجات ، ٢ : ٢٢٤ ـ ٢٢٦/ ح١٣٣٨ ـ ٥. دلائل الإمامة ، الطبري : ٢٢٤ ـ ٢٢٦/ ح١٥١. الاختصاص : ٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢ : ٧٩/ ح٧٥.

(٤) المصدر نفسه: ٧٥/ ح٥١.

(٥) المصدر نفسه : ٧٩/ ح٧٣.

إِنْ قلتَ : إِنَّ ما تقومون به مشمول ببيانات الوحي هذه وغيرها ؛ فإِنَّه إِذاعة لسرِّ آل محمَّد صلوات اللّـه عليهم ، ونشر لبيانات وحيانيَّة نُهي الإِصحار بها وتداولها عند المُقَصِّرة ومَنْ لا يحتملها فضلاً عن المغرضين والنَّواصب وأَعداء أَهل البيت عليهم السلام ، ومن ثَمَّ وجب عدم التَّعَرُّض لها والتَّحَدُّث عنها.

قلتُ : إِنَّ هذه البيانات الوحيانيَّة الشَّريفة ناظرة لحالة قبل النشر واشتهار وتفشي ما تعرَّضنا له من بياناتٍ وحيانيَّةٍ ، أَمَّا بعد أَنْ انتشرت واشتهرت وتفشَّت في الكُتُب وفي المصادر الحديثيَّة ـ كما عليه الحال في يومنا هذا ـ ووقعت في يدِ مَنْ هبَّ ودبَّ ، لاسيما المُغرضين والمُقصِّرة والمُستضعفين ، والنَّواصب وأَعداء أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم وجب على مَنْ له المِكْنَة الدفاع عنها ، وبيان فلسفتها ونكاتها ونتفها المعرفيَّة والعلميَّة والعقليَّة ، لتُدفع أَو تُرفع الشبهات والإِشكالات والتساؤلات الَّتي يمكن أَنْ تُثار ، بل وتُثار عليها ، وما يمكن أَنْ يُحوم حومها.

طبقات تحمُّل علوم ومعارف أَهل البيت عليهم السلام

وبالجملة : أَنَّ ما أُعطي من علوم ومعارف إِلٰهيَّة لأَهل البيت صلوات اللّـه عليهم على مراتب وطبقات لا متناهية ؛ فبعضها لا يحتمله إِلَّا مَنْ كَتَبَ اللّـه في قلبه الإِيمان.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : «**إِنَّ أَمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إِلَّا من كتب اللَّـه في قلبه الإِيمان**» (١) .

وبعضها الآخر لا يحتمله إِلَّا نبيٌّ مرسلٌ ، أَو ملكٌ مُقَرَّب ، أَو مؤمنٌ مُـمتحنٌ.

فلاحظ : بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها : ما تقدَّم.

وبعضها الثالث لا يحتمله لا نبيّ مرسل ـ كـ : النَّبيِّ إِبراهيم ـ ولا مَلَك مُقَرَّب ـ كـ : جبرئيل عليه السلام ـ ولا مؤمن ممتحن ـ كـ : سلمان رضوان اللَّـه عليه ـ إِلَّا مَنْ شاؤوا صلوات اللَّـه عليهم.

فانظر : بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن أَبي الصَّامت ، قال : «**إِنَّ حديثنا صعب مستصعب ، شريف كريم ، ذكوان ذكيٌّ وعر ، لا يحتمله مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، ولا نبيٌّ مرسَلٌ ، ولا مؤمن مُـمْتَحن**. قلتُ: فَمَنْ يحتملهُ جعلتُ فداك ؟ قال: **مَنْ شئنا يا أَبا الصامت**. قال أبو الصَّامت : فظننتُ أَن للَّـه عباداً هُم أفضل من هؤلاء الثلاثة» (٢) .

وبعضها الرَّابع لا يحتمله إِلَّا هم صلوات اللَّـه عليهم.

فلاحظ : بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن أَبي الصَّامت ، قال : «سمعتُ أَبا

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٩٥/ ح٤١.

(٢) المصدر نفسه : ١٩٢/ ح٣٤.

عبداللّـه عليه السلام يقول : **إنَّ من حديثنا مالا يحتمله مَلَك مُقَرَّب ، ولا نبيٌّ مُرسَل، ولا عبد مؤمن.** قلتُ : فَمَنْ يحتمله ؟ قال : **نحن نحتمله**»[1] .

وإلى كُلِّ هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها :

بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : «... **إنَّ عندنا سرّاً مِنْ سرِّ اللّـه ، وعلماً من علم اللّـه لا يحتمله مَلَك مُقَرَّب ، ولا نبيّ مُرسَل ، ولا مؤمن أَمتحن اللّـه قلبه للإيمان ، واللّـه ما كلَّف اللّـه أَحَداً ذلك الحمل غيرنا ، ولا استعبد بذلك أَحداً غيرنا ، وإنَّ عندنا سرّاً من سرِّ اللّـه ، وعلماً من علم اللّـه أَمرنا اللّـه بتبليغه ، فبلَّغنا عن اللّـه (عزَّوجلَّ) ما أَمرنا بتبليغه ، ما نجد له موضعاً ، ولا أَهلاً ولا حمَّالة يحملونه حتَّىٰ خلق اللّـه لذلك أَقواماً ؛ خُلقوا من طينةٍ خُلق منها مُـحمَّد صلى الله عليه وآله وذرِّيَّته ، ومن نور خلق اللّـه منه مُـحمَّداً وَذُرِّيَّته ، وصنعهم بفضل صنع رحمته الَّتي صنع منها مُـحَمَّداً صلى الله عليه وآله ؛ فبَّلغناهم عن اللّـه (عزَّوجلَّ) ما أَمرنا بتبليغه ، فقبلوه واحتملوا ذلك ، وبلغهم ذاك عنَّا فقبلوه واحتملوه ، وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا ، فلولا أَنَّهم خُلقوا من هذا لَـمَا كانوا كذلك ، ولا واللّـه ما احتملوه. ثُمَّ قال: إنَّ اللّـه خلق قوماً لجهنَّم والنَّار ؛ فأَمرنا أَنْ نُبَلِّغهم كما بلَّغناهم فاشمأزوا من ذلك ، ونفرت قلوبهم وردوه علينا ، ولم يحتملوه ، وكذبوا به ... فطبع اللّـه على قلوبهم وأَنساهم ذلك ، ثُمَّ أَطلق اللّـه لسانهم ببعض الحقِّ ، فهم ينطقون به وقلوبهم منكرة ؛ ليكون ذلك دفعاً عن أَوليائه وأَهل طاعته ، ولولا ذلك ما عُبد اللّـه في أَرضه ، فأمرنا بالكفِّ عنهم ، والكتمان منهم ، فاكتموا مِـمَّن أَمر**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٩٣/ ح٣٦.

اللّـه بالكفِّ عنهم ، واستروا عمَّن أَمر اللّـه بالستر والكتمان منهم ، قال : ثُمَّ رفع يده وبكىٰ وقال : اللَّهُمَّ ، إِنَّ هؤلاء لشرذمةٍ قليلون فاجعل محياهم محيانا، ومماتهم مماتنا ، ولا تُسَلِّط عليهم عدواً لك فتفجعنا بهم ؛ فإِنَّكَ إِن فجعتنا بهم لم تُعبد أَبداً في أَرضك» (١) .

نكتة إبتلاءات بعض الأَنبياء عليهم السلام

وهذا ما يُوضِّح : نكتة وفلسفة تعرُّض بعض الأَنبياء عليهم السلام السَّابقين إِلى الإِبتلاءات ، منهم : النَّبيّ آدم عليه السلام ؛ فإِنَّه لَـمَّا عُرضت عليه بعض مقامات وشؤون أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم توقَّف فعوقب بإِبتلائه المعروف وأُخرج من الجنَّة ، وعفي عنه بعد أَن رجع واستغفر وتاب ، لكنَّه لم يُجعل من أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام بسبب توقفه.

وهكذا النَّبيّ أَيوب عليه السلام ؛ فابتُلي بالمرض وبقيَّة إِبتلاءاته إِلى أَنْ تاب فأدركته السعادة بأَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم.

وعلى هذا قس حال النَّبيّ يونس عليه السلام ، فأبتُلي بالحوت ، وحُبس في بطنه إِلى أَنْ تاب وقَبَل ولاية أَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، منضمّاً إِليه بيان أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه ، قال : «**إِنَّ اللّـه تعالىٰ عرض ولاية عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام على أَهل السَّماوات وأَهل الأَرض فقبلوها ما خلا يونس بن متى ، فعاقبه اللّـه وحبسه في بطن الحوت ؛ لإِنكاره ولاية أَمير المؤمنين عَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام حتَّىٰ قبلها**».

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٣٨٥ـ٣٨٦/ح٤٤. المحتضر : ١٥٤ ـ ١٥٥.

قال أبو يعقوب [١] : «**فنادىٰ في الظلمات أَنْ لا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ سبحانك إِنِّي كنت من الظالمين لإنكاري ولاية عَلِيّ بن أبي طالب** عليه السلام».

قال أبو عبد اللَّـه: فأنكرتُ الحديث فعرضته على عبداللَّـه بن سليمان المدنيّ فقال لي : «لا تجزع منه ؛ فإنَّ أَمير المؤمنين عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام خطب بنا بالكوفة ، فحمد اللَّـه تعالىٰ وأَثنىٰ عليه ، فقال في خطبته : «**فلولا إِنَّه كان من المُقِرِّين للبث في بطنه إلى يوم يُبعثون**». فقام إِليه فلان بن فلان وقال: يا أَمير المؤمنين ؛ إِنَّا سمعنا اللَّـه [٢] : ﴿**فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ**﴾. **فقال : أُقعد يا بكّار ، : «فلولا إِنَّه كان من المُقِرِّين للبث ... إلى آخِر الآية»** [٣] » [٤] .

٢ـ بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه ، مُخاطِباً سلمان (رضوان اللَّـه عليه) : «... **يا سلمان ، أَنا الَّذي دُعيت الأُمم كُلِّها إِلى طاعتي فكفرت فعُذِّبت بالنَّار...**». قال سلمان: ... وأَنتَ قصَّة أَيُّوب وسبب تغيُّر نعمة اللَّـه عليه. فقال أَمير المؤمنين عليه السلام: «**أتدري ما قصَّة أَيُّوب ، وسبب تغيُّر نعمة اللَّـه عليه ؟** قال: اللَّـه أعلم وأَنْتَ يا أمير المؤمنين. قال: **لَـمَّا كان عند الانبعاث للنطق شَكَّ أَيُّوب في ملكي ، فقال: هذا خطب جليل وأَمر جسيم. قال اللَّـه (عزَّوجلّ) : يا أَيُّوب أَتَشكُّ في صورة أقمته أَنا؟ إِنِّي ابتليتُ آدم بالبلاء فوهبته**

---

(١) أَبو يعقوب ـ هذا ـ وأَبو عبداللَّـه الآتي ذكره من أَصحاب رواة وإسناد هذا الحديث الشريف.

(٢) في المصدر : (إِنَّا سمعنا اللَّـه يقول).

(٣) الصافات : ١٤٣.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣٣٣ ـ ٣٣٤/ ح١٦. تفسير فرات الكوفي : ٩٤.

له وصفحت عنه بالتسليم عليه بأَمرة المؤمنين ، وأنت تقول : خطب جليل ، وأَمر جسيم ؟! فوعزَّتي لأُذيقنَّك من عذابي أَو تتوب إِلَيّ بالطَّاعة لأَمير المؤمنين. ثُمَّ أَدركته السَّعادة بي ؛ يعني : أَنَّه تاب وأذعن بالطَّاعة لأَمير المؤمنين عليه السلام وعلى ذرِّيَّته الطَّيبين عليهم السلام» (١) .

٣ـ بيان تفسير الإِمام الباقر صلوات اللَّـه عليه ، وبيان نكتة عدم جعل النَّبيّ آدم عليه السلام من أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام : «**في قول اللَّـه عزَّوجلَّ : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾** (٢) **قال: عهد إِليه في مُـحمَّد والأَئمَّة من بعده فترك ، ولم يكن له عزم فيهم أَنَّهم هكذا...»** (٣) .

٤ـ بيان الإِمام الرضا صلوات اللَّـه عليه : «**... وإِنَّ آدم عليه السلام لَـمَّا أَكرمه اللَّـه (تعالىٰ ذكره) بإسجاد ملائكته له ، وبإدخاله الجنَّة قال في نفسه : هل خلق اللَّـه بشراً أَفضل منِّي ؟ فعلم الله (عزَّوجلَّ) ما وقع في نفسه، فناداه : ارفع رأسَكَ يا آدم ، فانظر إِلى ساق عرشي ، فرفع آدم رأسه فنظر إِلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً : لا إِلٰه إِلَّا اللَّـه، مُـحَمَّد رسول اللَّـه، عَلِيّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وزوجته فاطمة سيِّدة نساء العالمين ، والحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة. فقال آدم عليه السلام: يا ربّ ، مَنْ هؤلاء ؟ فقال (عزَّوجلَّ): من ذُرِّيَّتك ، وهم خير منكَ ومن جميع خلقي ، ولولاهم ما خلقتكَ ولا**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٩٢ ـ ٢٩٣/ ح٥٢. كنز جامع الفوائد : ٢٦٤ ـ ٢٦٥. وفيه : (أَنَّه تاب إِلى اللَّـه).

(٢) طٰه : ١١٥.

(٣) بحار الأَنوار ، ١١ : ٣٥/ ح٣١. علل الشرائع : ٥٢.

خلقتُ الجنَّة والنَّار ، ولا السَّماء والأَرض ، فإيَّاك أَنْ تنظر إِليهم بعين الحسد فأُخرجكَ عن جواري. فنظر إِليهم بعين الحسد ، وتمنَّىٰ منزلتهم ، فتسلَّط الشَّيطان عليه حتَّىٰ أكل من الشَّجرة الَّتي نُهي عنها ، وتسلَّط على حوَّاء ؛ لنظرها إِلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتَّىٰ أَكلت من الشَّجرة كما أَكل آدم ، فأخرجهما اللّـه (عزَّوجلَّ) عن جنَّته ، وأَهبطهما عن جواره إِلى الأرض» (١) .

ودلالة الجميع واضحة.

مقامات كُمَّل المخلوقات لا تُعطى إِلاَّ بقدر معرفتهم بأَهل البيت عليهم السلام

ثُمَّ إِنَّ كمَّل المخلوقات ـ منهم : الملائكة المُقرَّبين ، والأَنبياء والمرسلين، والأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام ـ لم يُعطوا تلك المقامات والكمالات ولم يُفضَّل بعضهم على الآخر إِلَّا بقدر معرفتهم بأَهل البيت صلوات اللّـه عليهم ، وبقدر تحمُّل قابليَّاتهم لأَسرارهم.

وإِلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان الحديث القدسي ، عن ربِّ العزَّة (تقدَّس ذكره) ، مخاطباً سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «... **وَإِنِّي جعلتكم محنة لخلقي ، أَمتحن بكم جميع عبادي وخلقي في سمائي وأَرضي وما فيهنَّ ؛ لأَكمل الثواب لمن أَطاعني فيكم ، وأَحلّ عذابي ولعنتي على مَنْ خالفني فيكم وعصاني ، وبكم أُميِّز الخبيث من الطَّيِّب...**» (٢) .

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٧٣/ح١٥. عيون الأَخبار : ١٧٠.

(٢) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٩٩ـ ٤٠٠/ح١٠١.

ودلالته قد اتَّضحت ؛ فإِنَّ جملة المخلوقات ، منهم : كافَّة الملائكة لا سيما المُقرَّبين ، وجميع الأَنبياء والمرسلين ، وسائر الأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام لم يُعطَ أَحدٌ منهم مقاماً ـ كـ : مقام : المقرَّبيَّة ، والنُّبُوَّة والرسالة ، والوصاية والإِصطفاء ـ ولا كمالاً ولا فضيلة ، ولا شأناً إِلٰهيّاً البتة في هذا العَالَم ، وفي العوالم السَّابقة واللاحقة ، ولم يُمَيَّز خبيثٌ عن طيِّبٍ إِلَّا بعد الابتلاءات والإِمتحانات في قدر معرفتهم بـ : أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم وطاعتهم لهم ، ومدىٰ تحمُّل أَسرارهم ومعارفهم.

٢ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «... **والَّذي نفسي بيده ، ما استوجب آدم أَنْ يخلقه اللَّـه وينفخ فيه من روحه وأَنْ يتوب عليه ، ويردَّه إِلى جنَّته إِلَّا بنبوَّتي والولاية لِعَلِيّ بعدي ، والَّذي نفسي بيده ما أَرىٰ إِبراهيم ملكوت السَّماوات والأَرض ، ولا اتَّخذه خليلاً إِلَّا بنبوَّتي والإِقرار لِعَلِيّ بعدي ، والَّذي نفسي بيده، ما كلَّمَ اللَّـه موسىٰ تكليماً ، ولا أَقام عيسىٰ آية للعالمين إِلَّا بنبوَّتي ومعرفة عَلِيّ بعدي ، والَّذي نفسي بيده ، ما تنبَّأ نبيٌّ إِلَّا بمعرفتي ، والإِقرار لنا بالولاية ، ولا استأهل خلق من اللَّـه النظر إِليه إِلَّا بالعبوديَّة له ، والإِقرار لِعَلِيّ بعدي...**» (١).

٣ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : «**ما تكاملت النُّبوَّة لِنَبِيٍّ في الأَظلَّة حتَّىٰ عرضت عليه ولايتي وولاية أَهل بيتي ، ومُثِّلوا له فأَقَرُّوا بطاعتهم وولايتهم**» (٢).

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ٩٥ ـ ٩٧/ ح١١٦. كتاب سليم : ١٦٨ ـ ١٧٠.

(٢) بصائر الدرجات ، ١ : ١٦١/ ح٣٠٠ ـ ٧.

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

٤ـ إطلاق بيان أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه : «... **أَنَا مُنزل الملائكة منازلها ... أَنَا صاحب الهبات بعد الهبات ولو أَخبرتكم لكفرتم ... أَنَا المعطي، أَنا المبذل ، أَنا القابض يدي على القبض...**» (١).

وهذا أَحد تفاسير هذا البيان الشَّريف.

٥ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**ما نُبِّئ نبيّ قَطُّ إِلَّا بمعرفة حقِّنا ، وبفضلنا على من سوانا**» (٢).

ودلالته قد اِتَّضحت ؛ فإِنَّ مقام النُّبُوَّة لم يُعطَ لنبيٍّ قَطُّ إِلَّا بعد معرفته في العوالم السَّالفة بحقائق أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم ، ومعرفة : حقّهم وحقوقهم وبفضلهم على طرِّ المخلوقات وفي جميع العوالم.

٦ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «... **فَمَنْ أَراد اللّـه أَنْ يُطَهِّر قلبه من الجنِّ والإِنس عرَّفه ولايتنا ، ومن أَراد أَنْ يطمس على قلبه أَمسكَ عنه معرفتنا... واللّـه ، ما استوجب آدم أَنْ يخلقه اللّـه بيده ، وينفخ فيه من روحه إِلَّا بولاية عَلِيّ** عليه السلام، **وما كلَّم الله موسىٰ تكليماً إِلَّا بولاية عِلِيّ** عليه السلام، **ولا أَقام اللّـه عيسىٰ بن مريم آية للعالمين ، إِلَّا بالخضوع لِعَلِيّ** عليه السلام **، ثُمَّ قال : اجمل الأَمر : ما استأهل خلق من اللّـه النظر إليه إِلَّا بالعبوديَّة لنا**» (٣).

ودلالته واضحة.

---

(١) مشارق أَنوار اليقين، الخطبة الافتخارية: ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٨١/ ح٢٨. بصائر الدرجات ، ١ : ٥١.

(٣) بحار الأَنوار: ٢٩٤/ ح٥٦. الاختصاص : ٢٥٠.

٧ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، الوارد في حقِّ فاطمة الزهراء عليها السلام : «... **وهي الصِّدِّيقة الكبرىٰ ، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولىٰ**»(١) .

ودلالته قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ مقامات كُمَّل المخلوقات ـ كـ : الملائكة المُقرَّبين ، والأَنبياء والمرسلين ، والأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام ـ وغيرهم وكمالاتهم وشؤونهم لم تعطها يد ساحة القدس الإِلٰهيَّة لهم في العوالم السَّابقة ، وهي الأَساس إِلَّا على قدر معرفتهم بـ : مراتب طبقات حقيقة فاطمة الزهراء صلوات اللّـه عليها ، وبـ : مقاماتها ، وكمالاتها ، وفضائلها ، وشؤونها. ولوجود تفاوت في معرفتهم بها فُضِّل بعضهم على الآخر.

٨ ـ بيان الإِمام الحسن العسكري عليه السلام : «... **فالكليم أُلبس حلَّة الإِصطفاء لَـمّا عهدنا منه الوفاء ...**»(٢) .

ودلالته قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ النَّبيَّ موسىٰ عليه السلام نال الإِصطفاء والنُّبُوَّة والرِّسالة ؛ وبقيَّة المراتب والمقامات الإِلٰهيَّة ؛ لَـمَّا عهد أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم منه الوفاء والإِخلاص لهم.

٩ـ بيان زيارتهم صلوات اللّـه عليهم : «... **حتَّىٰ لا يبقىٰ مَلَك مُقرَّب، ولا نَبِيّ مُرْسَل ، ولا صِدِّيق ولا شهيد ، ولا عَالِم ، ولا جاهل ، ولا دني ولا فاضل ، ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ، ولا جبَّار عنيد، ولا شيطان مريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إِلَّا عرَّفه جلالة أَمركم ، وعظم خطركم ،**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٣ : ١٠٥/ح١٩.

(٢) المصدر نفسه، ٢٦ : ٣٦٤ـ ٣٦٥/ح٥٠.

وكبير شأنكم ، وجلالة قدركم ، وتمام نوركم ، و صدق مقاعدكم ، وثبات مقامكم ، وشرف محلَّكم ، ومنزلتكم عنده، وكرامتكم عليه ، وخاصَّتكم لديه ، وقرب مجلسكم منه...» (١) .

ودلالته قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ أَحد فلسفات هذا العرض وعلله في بداية الخلقة ، والتعريف بمقامات أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم وكمالاتهم وشؤونهم وذلك لِاختبار وامتحان جملة المخلوقات ؛ ليُعطىٰ كُلّ ذي قابليَّة حقَّه وشأنه في المسؤوليَّات المستقبليَّة.

البيان الثَّاني : بيان دعاء أَيّام شهر رجب ، الوارد عن النَّاحية المُقدَّسة في حقِّ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة : «... **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ ... بما نطق فيهم من مشيَّتك ، فجعلتهم معادن لكلماتكَ ، وأَركاناً لتوحيدك ، وآياتكَ ومقاماتكَ الَّتي لا تعطيل لها في كُلِّ مكانٍ ، يعرفكَ بها من عرفكَ ، لا فرق بينكَ وبينها إِلَّا أَنَّهم عبادك وخلقكَ ...**» (٢) .

ودلالته قد اتَّضحت ؛ فإِنَّه لَـمَّا كانت طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة تمرَّدت ذواتها وماهيَّاتها ، وفنيت فيها جنبة المخلوقيَّة ، وخلصت في حكاية ذيها ، فلم ترِ نفسها ، بل محكيِّها : (الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة) ، وأَصبحت نظير : المرآة شديدة الصقل والصفاء والإِخلاص في الحكاية انعكست وظهرت وتجلَّت فيها كافَّة صفات الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، وأَسمائه وكمالاته وشؤونه (تقدَّس ذكره) ؛ إِلَّا الإِلوهيَّة ، فصار : لا فرق بينه (تعالىٰ

---

(١) بحار الأَنوار ، ٩٩ : ١٥٢.

(٢) المصدر نفسه ، ٩٥ : ٣٩٣.

ذكره) وبينهم صلوات اللَّـه عليهم بلحاظ تلك الطبقات إِلَّا أَنَّهم عباده وخلقه ، يعرفه (جلَّ قدسه) بهذه الطبقات المُقدَّسة مَنْ عرفه. فالتفت ، وتدبَّر جيِّداً ، واغتنم تربت يداك.

البيان الثَّالث : ما ورد عنهم صلوات اللَّـه عليهم : «**لنا مع اللَّـه حالات : هو هو ونحن نحن ، وهو نحن ونحن هو**» (١) .

ودلالته قد اتَّضحت أَيضاً ، ولا غبار عليها ؛ فإِنَّه بعد ما كانت طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة خالصة وفانية في حكاية ذيها ، ولا تُري نفسها، بل محكيَّها : (الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة) انعكست وظهرت وتجلَّت فيها جملة صفات وأَسماء وكمالات وشؤون الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ (تعالىٰ ذكره) ، صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، فصار بلحاظ تلك الطبقات : «هو (جلَّ شأنه) هم (صلوات اللَّـه عليهم) ، وهم (صلوات اللَّـه عليهم) هو (جلَّ جلاله)». نظيره : الصورة المرآتية بالقياس إِلى محكيِّها ؛ (الشَّاخص الخارجي).

لكن : حيث إِنَّ هناك شيئاً لا يمكن أَن يتَّصفون عليهم السلام به وهو: الأُلوهيَّة، **مضافاً** : أَنَّه (عزَّ وجلَّ) هو : الخالق والمعبود ، وهم صلوات اللَّـه عليهم: مخلوقين وعبيد ، **ويضاف إِليه** : أَنَّ صفاته وأَسمائه وكمالاته وشؤونه بالنِّسْبَةِ إِليه (جلَّ وعلا) أَصالة وبالذَّات ، بخلاف صفاتهم صلوات اللَّـه عليهم وأَسمائهم وكمالاتهم وشؤونهم ؛ فإِنَّها حكايةٌ، ووجود ظلِّي ، ومن الغير كان : «هو هو (جلَّ اسمه)» ، و «هم هم صلوات اللَّـه عليهم». فتدبَّر جيِّداً ، واغتنم تربت يداك.

---

(١) مصباح الهداية : ١١٤.

المُقدِّمة الرابعة :

أَوَّل المخلوقات وأَشرفها حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة

إِنَّ الثابت بالضرورة الدينيَّة ، والشَّرعيَّة ، وعند كافَّة فرق المسلمين ، وبالبيانات الوحيانيَّة البالغة فوق التواتر اللَّفظي والعقلي والوحياني : أَنَّ أَشرف وأُكمل جملة المخلوقات ، وأَوَّل ما خلق اللَّـه على الإِطلاق : طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**إِنَّ اللَّـه (عزَّوجل) خلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين من نورٍ واحدٍ ... ثُمَّ خلق اللَّـه السَّماوات والأَرض ، وخلق الملائكة ، فمكثت الملائكة مائة عام لا تعرف تسبيحاً ولا تقديساً ، فسبَّحنا ... فسبَّحت الملائكة ، وكذا**[١] **في البواقي ، فنحن المُوحِّدون حيث لا مُوحِّد غيرنا ، وحقيق على اللَّـه عزَّوجلَّ كما اختصَّنا واختصَّ شيعتنا أَنْ يزلفنا وشيعتنا في أَعلىٰ عليِّين ، إِنَّ اللَّـه اصطفانا واصطفىٰ شيعتنا من قبل أَنْ نكون أَجساماً...**»[٢] .

ودلالته واضحة ؛ فإِنَّه لو كانت هناك مخلوقات من جملة المخلوقات والعوالم ـ منها : عَالَمَ المُجرَّدات التامَّة ؛ عَالَمَ السرمد والأَزل ؛ عَالَمَ الصفات والأَسماء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ فضلاً عمَّا دونها ـ مخلوقة قبل رأس هرم طبقات

---

(١) زاد في المصدر : «**وقدَّسنا وقدَّست شيعتنا ، وقدَّست الملائكة ، وكذا**».

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ١٣١/ح١٢٢. المحتضر : ١١٢ ـ ١١٣.

حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة لَـمَا عبَّر صلى الله عليه وآله وأَطلق بيانه : «**فنحن المُوحِّدون حيث لا مُوحِّد غيرنا**».

بعد الإلتفات : أَنَّ الأَسمآء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ ، والصفات الإِلٰهيَّة ـ ذاتيَّة كانت أَم فعليَّة ـ مخلوقات مُكرَّمة مهولة ، تُسَبِّح اللَّـه ـ المُسَمَّىٰ ـ وتمجِّده وتُقدِّسه وتُوحِّده.

٢ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : «**أَوَّل ما خلق اللَّـه نوري ، ابتدعه من نوره ، واشتقَّه من جلال عظمته ، فأَقبل يطوف بالقدرة حتَّىٰ وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة ، ثُمَّ سجد للَّـه تعظيماً ففتق منه نور عَلِيّ عليه السلام ، فكان نوري مُحيطاً بالعظمة ، ونور عَلِيّ محيطاً بالقدرة ، ثُمَّ خلق العرش واللوح والشَّمس وضوء النهار ونور الأَبصار ، والعقل والمعرفة ، وأَبصار العباد وَأَسماعهم وقلوبهم من نوري ، ونوري مُشْتَقّ من نوره. فنحن الأَوَّلون ونحن الآخرون، ونحن السَّابقون ... ونحن كلمة اللَّـه ، ونحن خاصَّة اللَّـه ... ونحن وجه اللَّـه ... ونحن يمين اللَّـه ... ونحن محال قدس اللَّـه...**» (١).

٣ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : «**... خلقنا اللَّـه نحن حيث لا سماء مبنيَّة ولا أَرض مدحيَّة ، ولا عرش ولا جنَّة ولا نار ، كُنَّا نُسبِّحه حين لا تسبيح، ونقدِّسه حين لا تقديس ، فلمَّا أَراد اللَّـه بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش فنور العرش من نوري ، ونوري من نور اللَّـه ، وأَنا أَفضل من العرش ، ثُمَّ فتق نور ابن أَبي طالب فخلق منه الملائكة ... وفتق نور ابنتي**

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٢٢/ ح٣٨. رياض الجنان : (مخطوط).

فاطمة منه فخلق السَّماوات والأَرض ... ثُمَّ فتق نور الحسن فخلق منه الشَّمس والقمر ... ثُمَّ فتق نور الحسين فخلق منه الجنَّة والحور العين...» (١).

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة على أَنَّ أَوَّل جملة المخلوقات وأَشرفها طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة، وإِلَّا لَـمَا عبَّر صلى الله عليه وآله وأطلق قوله : «**وكُنَّا نُسبِّحه حين لا تسبيح ، ونقدِّسه حين لا تقديس**» ، وكذا كلامه صلى الله عليه وآله : «**فَلَمَّا أَراد اللَّـه بدء الصنعة فتق نوري منه ...**».

٤ـ بيانه صلى الله عليه وآله مخاطباً أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه : «**... يا عَلِيّ ... وأَنت السبب فيما بين اللَّـه وبين خلقه بعدي ...**» (٢).

٥ـ بيانه صلى الله عليه وآله ، عن جابر بن عبداللَّـه ، قال : «قلتُ لرسول اللَّـه صلى الله عليه وآله : أَوَّل شيء خلق اللَّـه تعالىٰ ما هو ؟ فقال : **نور نبيِّك يا جابر ، خلقه اللَّـه ثُمَّ خلق منه كُلّ خير ، ثُمَّ أَقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء اللَّـه ثُمَّ جعله أَقساماً ، فخلق العرش من قسم ، والكرسي من قسم ، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم...**» (٣).

٦ـ بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه : «**... والنَّبيُّ والعترة ... رأس دائرة الإِيمان ، وقطب الوجود ، وسمآء الجود ... جلَّ مقام آل محمَّد** صلى الله عليه وآله **عن وصف الواصفين ، ونعت الناعتين ، وان يُقاس بهم أَحد من العالمين ...**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦/ ح٣٠.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٢ : ١٤٧ ـ ١٤٨/ ح١٤١. كتاب سليم بن قيس : ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٢١ ـ ٢٢/ ح٣٧.

فهم خاصَّة اللَّـه وخالصته ... ومبدء الوجود وغايته ، وقدرة الرَّبّ ومشيئته ...» [١].

٧ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «كان اللَّـه ولا شيء معه ، فأَوَّل ما خلق نور حبيبه مُحَمَّد صلى الله عليه وآله قبل خلق الماء [٢] **والعرش والكرسي والسَّماوات والأَرض ، واللوح والقلم ، والجنَّة والنَّار ، والملائكة وآدم وحواء بأربعة وعشرين وأَربعمائة أَلف عام ، فلمَّا خلق اللَّـه تعالىٰ نور نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله بقي أَلف عام بين يدي اللَّـه عزَّ وجلَّ واقفاً يُسَبِّحه ويحمده ، والحقُّ تبارك وتعالىٰ ينظر إِليه**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.

(٢) ينبغي الإِلتفات : أَنَّ لعنوان : (الماء) الوارد في بيانات معارف الوحي ، منها : هذا البيان الشريف ليس السائل المعهود ، بل له رمزيَّة عجيبة وعظيمة جِدّاً ؛ فإِنَّ همزة (ماء) ليست من الحروف الأَصليَّة للكلمة فتكون مقلوبة عن (هاء) ، وكذا أَلفها فتكون مقلوبة عن (واو) ، فيكون أَصلها : (موه) ، أَي : ماهية وأَصل الأَشياء ، وهو : (العلم).

ثُمَّ إِنَّ حقيقة (العلم) عَالَمٌ برأسه ، مخلوق من مخلوقات عوالم الخلقة الصَّاعدة ، فوق عَالَم العرش، ولحقيقته نشأة ملكوتيَّة يراها العَالِم ولا يراها الجاهل ؛ لعدم تفعيله لأَبدانه وحواسها وقواها الصاعدة ، فإِنّ العلم ماء حياتها ، فكما أَنَّ للأَبدان الغليظة المعهودة غذاؤها وشرابها المادِّي الغليظ ، وتستدام حياتها به ، وتموت بتركه ، كذلك حال الأَبدان الصَّاعدة وحواسّها وقواها ، لكن غذاؤها ما يناسب تلك العوالم ، وهو : العلم والتسبيح والتحميد وذكر اللَّـه الكريم ، فهذا ليس غذاء الملائكة والمخلوقات الصاعدة فحسب ، بل وغذاء أَبدان الإِنسان الصاعدة وحواسها وقواها.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الباقر عليه السلام ، عن زيد الشحام : «**في قول اللَّـه : ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾** [عبس : ٢٤] قال : قلتُ : ما طعامه ؟ قال : **علمه الَّذي يأخذه مِمَّن يأخذه**».

بحار الأَنوار ، ٢ : ٩٦/ ح٣٨.

ويقول : يا عبدي ، أَنْتَ المراد والمريد ، وأَنْتَ خيرتي من خلقي ... فخلق اللَّـه منه اثني عشر حجاباً ، أَوَّلها حجاب القدرة ، ثُمَّ حجاب العظمة ، ثُمَّ حجاب العزَّة ، ثُمَّ حجاب الهيبة ، ثُمَّ حجاب الجبروت ... ثُمَّ حجاب الكبرياء ... ثُمَّ إِنَّ اللَّـه تعالىٰ خلق من نور مُحَمَّد ﷺ عشرين بحراً من نورٍ ، في كلِّ بحر علوم لا يعلمها إِلَّا اللَّـه تعالىٰ ... قال الله تعالىٰ : يا حبيبي ، ويا سيِّد رسلي ، ويا أَوَّل مخلوقاتي ، ويا آخر رسلي ... ثُمَّ قام فقطرت منه قطرات كان عددها مائة أَلف وأَربعة وعشرين أَلف قطرة ، فخلق اللَّـه تعالىٰ من كُلِّ قطرة من نوره نبيّاً من الأَنبياء ، فلمَّا تكاملت الأَنوار صارت تطوف حول نور مُحَمَّد ﷺ كما تطوف الحجاج حول بيت اللَّـه الحرام ...» (١) .

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة أَيضاً ؛ على أَنَّ أَوَّل المخلوقات وأَشرفها وأَعلاها مقاماً وفضلاً وكمالاً طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، وإِلَّا لَـمَا عبَّر عليه السلام بقوله : «**كان اللَّـه** ـ أَي : المُسَمَّىٰ (جلَّ وتقدَّس) ـ **ولا شيء معه** ـ فليس معه (تقدَّس ذكره) صفة إِلٰهيَّة ولا اسم إِلٰهي، ولا مخلوق البتَّة ـ فأَوَّل ما خلق ـ على الإِطلاق ـ **نور حبيبه مُحَمَّد** ﷺ». ثُمَّ خلق ـ كما صرَّحت بذلك بيانات الوحي الأُخرىٰ ـ نور أَمير المؤمنين ، ثُمَّ نور فاطمة الزهراء ، ثُمَّ نور الحسن ، ثُمَّ نور الحسين صلوات اللَّـه عليهم.

٨ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «**... ليس شيء أَقرب إِلى اللَّـه من رسوله ، ولا أَقرب إِلى رسوله من وصيِّه ، فهو في القرب كالجنب ...**» (٢) .

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٥ : ٢٧ ـ ٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ٤ : ٩.

٩ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : «... **ونحن السبيل فيما بين اللَّـه وخلقه ، ونحن الرباط الأَدنىٰ ...**» (١) .

١٠ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «... **ونحن أُمناؤه على خلقه ... والحجاب فيما بينه وبين خلقه ...**» (٢) .

١١ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**ما بعث اللَّـه نبيّاً أَكرم من محمَّد صلى الله عليه وآله ، ولا خلق اللَّـه قبله أَحدا ...**» (٣) .

١٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «... **رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله ... كان أَقرب الخلق إِلى اللَّـه تبارك وتعالىٰ ...**» (٤) .

١٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**ليس شيء يخرج من اللَّـه حتَّىٰ يبدأ برسول اللَّـه صلى الله عليه وآله ، ثُمَّ بأمير المؤمنين ، ثُمَّ واحداً بعد واحد...**» (٥) .

١٤ـ بيان الإِمام الكاظم عليه السلام : «**ما خلق اللَّـه خلقاً أَفضل من مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، ولا خلق خلقاً بعد مُحَمَّد أَفضل من عَلِيّ عليه السلام**» (٦) .

١٥ـ بيان الإِمام الرضا عليه السلام : «... **ودعا أَمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٢١٦ـ٢١٧/ ح٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢٥ : ٣٦٣/ ح٢٣. المحتضر : ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٣) بحار الأَنوار ، ١٦ : ٣٧١/ ح٨٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ٥ : ٢٣٦/ ح١٢.

(٥) المصدر نفسه، ٢٦ : ٩٢/ ح٢٠.

(٦) المصدر نفسه ، ١٦ : ٣٧٧/ ح٨٨ .

بحكم اللّـه (عزَّوجلَّ) ، فقد ثبت أَنَّه ليس أَحد من خلق اللّـه تعالىٰ أَجلّ من رسول اللّـه ﷺ وأَفضل ، فواجب أَنْ لا يكون أَحداً أَفضل من نفس رسول اللّـه ﷺ بحكم اللّـه تعالىٰ...» (١) .

١٦ـ بيان الإِمام الجواد عليه السلام عن محمَّد بن سنان ، قال : «**... يا مُحَمَّد ، إِنَّ اللّـه تبارك وتعالىٰ لم يزل مُتفرِّداً بوحدانيَّته ، ثُمَّ خلق مُحَمَّداً وعليّاً وفاطمة، فمكثوا أَلف دهر ، ثُمَّ خلق جميع الأَشياء ، فأشهدهم خلقهم ، وأَجرىٰ طاعتهم عليها ، وفوَّض أُمورها إِليهم ، فهم يُحلِّون ما يشاؤون ، ويُحرِّمون ما يشاؤون ، ولن يشاؤوا إِلَّا أَنْ يشاء اللّـه تبارك وتعالىٰ ، ثُمَّ قال : يا مُحمَّد ، هذه الديانة الَّتي مَنْ تقدَّمها مرق ، ومَنْ تخلَّف عنها محق ، ومَنْ لزمها لحق ، خذها إِليك يا مُحَمَّد**» (٢) .

١٧ـ بيان زيارة أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم : «**... إِليكم انتهت المكارم والشرف ، وفيكم استقرَّت الأَنوار والمجد والسؤدد ، فليس فوقكم أَحد إِلَّا اللّـه ، ولا أَقرب إِليه منكم ، ولا أَكرم عليه منكم ، ولا أَحظىٰ لديه...**» (٣) .

١٨ـ بيان زيارتهم صلوات اللّـه عليهم أَيضاً : «**... إِليكم انتهت المكارم والشرف ، ومنكم استقرَّت الأَنوار والعزَّة والمجد والسؤدد ، فما**

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٠ : ٣٥٠/ ح٩. الفصول المختارة ، ١ : ١٥.

(٢) بحار الأَنوار ، ١٥ : ١٩/ ح٢٩. الأصول ، ١ : ٤٤١.

(٣) بحار الأَنوار ، ٩٧ : ٣٤٤. المزار الكبير : ٨٧٧ .

فوقكم أَحد إِلَّا اللَّـه الكبير المُتعال ، ولا أَقرب إِليه ولا أَخصّ لديه ولا أَكرم عليه منكم ...» (١) .

١٩ـ بيان زيارتهم صلوات اللَّـه عليهم أَيضاً : « **... آتاكم اللَّـه ما لم يؤتَ أَحداً من العالمين ، طأطأ كُلّ شريفٍ لشرفكم ، وبخع** (٢) **كُلّ متكبِّرٍ لطاعتكم ، وخضع كُلّ جبّارٍ لفضلكم ، وذلّ كُلّ شيءٍ لكم ...»** (٣) .

ودلالة الجميع واضحة ؛ على أَنَّ أَوَّل جملة المخلوقات وجوداً وخلقة ، وأَشرفها وأَعلاها سؤدداً ومقاماً وفضلاً وكمالاً ، وأَقربها إلى الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ (علا ذكره) ، وأَخصَّها عنده : طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة.

المُقدِّمة الخامسة :

حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة فوق الصفات والأَسماء الحسنى

إِنَّ الصفات والأَسماء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ المعروفة لدينا وإِنْ ثبت في المُقدِّمة الثانية : أَنَّها طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة بالبيان المُتقدِّم وما سيأتي (إِنْ شاء اللَّـه تعالىٰ) في المسائل والأَبحاث التالية ، لكنَّها ليست رأس هرم طبقات حقائقهم صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة ، بل رأس

---

(١) بحار الأَنوار ، ٩٩ : ١٥٢.

(٢) خ . ل : (نخع). خ . ل : (نجع).

(٣) بحار الأَنوار ، ٩٩ : ١٣٢. عيون الأَخبار ، ٢ : ٢٧٢ ـ ٢٧٧.

هرم طبقات حقائقهم عليهم السلام الصَّاعدة وراء وفوق ذلك. كحال حقيقة بقيَّة البشر ؛ فإنَّها لا تكمن في النَّفس ، ولا في طبقات الرُّوح ؛ فلا تكمن في طبقة العقل ، ولا في طبقة القلب ، ولا في طبقة السرِّ ، ولا في طبقة الخفي ، ولا في طبقة الأَخفىٰ ، وإِنَّما وراء وفوق ذلك ، ومهيمنة عليها هيمنة اللطيف على الأَغلظ.

وللتوضيح أَكثر : لاحظ المُقدَّمتين التاليتين :

الأُولَىٰ : أَنَّه تقدَّم في المُقدِّمة الرابعة من بيان لضرورة دينيَّة وشرعيَّة ، وعند كافَّة الفرق الإِسلاميَّة ، وبالبيانات الوحيانيَّة البالغة فوق التواتر اللفظي والعقلي والوحياني : أَنَّ رأس هرم جملة المخلوقات وأَوَّلها وأَشرفها وأَكملها وأَقربها على الإِطلاق لِلْذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة : طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة.

الثَّانية : تقدَّم أَيضاً في المُقدَّمة الأُولىٰ : ذُكر بيان للإِمام الصَّادق عليه السلام المُصرِّح بـ : أَنَّ وراء وفوق أُسس وأُصول وأَركان الأَسماء الإِلٰهيَّة الأَربعة ، وهي : (هو ـ وهو الاسم المكنون المخزون ـ ، واللَّـه ، وتبارك ، وسبحانه ـ خ. ل : تعالىٰ ـ) : أَنَّ هناك حقيقةً مخفيَّةً ، مهولةً وخطيرةً جِدّاً ، وإِسماً إِلٰهيّاً مخفيّاً : «**بالحروف غَيْرَ منعوتٍ ، وباللَّفظ غَيْرَ مُنْطَقٍ ، وبالشَّخص غَيْرَ مُجَسَّدٍ ، وبالتَّشبيه غَيْرَ موصوفٍ ، وباللَّون غَيْرَ مصبوغٍ، منفي عنه الأَقطار، مُبَعَّدٌ عنه الحُدُودُ ، مَحْجُوبٌ عنه حِسُّ كُلِّ مُتَوَهِّمٍ ، مُسْتَتِرٌ غَيْرَ مَسْتُورٍ**».

والنتيجة : أَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة لا تنتهي بالصفات والأَسماء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ المعروفة ، والمُصرَّح بها في بيانات الوحي.

بل أَنَّهُ صلوات اللَّـه عليه لم يذكر في بيانه الشَّريف هذا : أَنَّ ذلك الاسم الإِلٰهي المخفي هو أَوَّل المخلوقات ورأس هرمها ، وأَبقىٰ صلوات اللَّـه عليه الباب مفتوحاً لمخلوقات مكرَّمة (طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة) وراء ذلك الإِسم ، أَرفع شأناً ، وأَعلىٰ مقاماً ، وراء جملة المخلوقات وفوقها ومُهَيْمِنَة عليها.

نكتة توقُّف المخلوق في قبول مقامات وكمالات أَهل البيت عليهم السلام

ثُمَّ إِنَّه مَنْ يتوقَّف في قبول مقامات وكمالات وشؤون أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم ـ بعد قيام الدَّليل القطعي عليها ـ أَو يتردَّد فيها فضلاً عن مَنْ يُنْكِرُها فَلْيَعْلَم ـ بل ليراجع نفسه فسيجد ـ أَنَّ منشأ ذلك أَحد أُمور ثلاثة لا رابع لها ، وإِلَّا فتسويلات شيطانيَّة فإِنَّه :

إِمَّا أَنْ يكون منشأ توقُّفه وتردُّده وإِنكاره (والعياذ باللَّـه تعالىٰ) في فاعليَّة الباري (تبارك وتعالىٰ) ، كمُعتقد اليهود.

وإِمَّا أَنْ يكون ـ منشأ توقُّفه وتردُّده وإِنكاره ـ (والعياذ باللَّـه تعالىٰ) في قابليَّة واستعداد واستحقاق طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم، كمعتقد المُقصِّرة وبعض النَّواصب.

وإِمَّا أَنْ يكون ـ منشأ توقُّفه وتردُّده وإِنكاره ـ (والعياذ باللَّـه تعالىٰ) جهلاً بهم صلوات اللَّـه عليهم ، أَو حسداً لهم ، أَو حقداً أَو تكبُّراً عليهم ، كحال إبليس والبعض الآخر من النَّواصب.

وهذا كالأَوَّل والثَّاني إِلحاد وكفر جلي ، لا يُبْقي ولا يَذَر ؛ فإِنَّ يداه (عزَّ

ذكره) مبسوطتان ينفق كيف يشآء ، وقابليَّة طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم واستعدادها واستحقاقها للفضل والكمال لا حدَّ ولا منتهىٰ ولا غاية لها ، والجهل وجنده كالحسد والحقد والتكَبُّر لاسيما إِذا كان في حقِّ أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم عَالَمٌ من البحر الأُجاج ظُلْمَانِيّاً ، فوق عَالَم جهنَّم ونار الآخرة الأَبديَّة (أعاذنا اللَّـه تعالىٰ منها) ، ومهيمن عليها ، بل هي قطرة في بحره وبحور جنده الظلمانيَّة الأُجاج المتلاطمة ، كما أَشار إِلى ذلك بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام في حديث جنود العقل والجهل (١) .

وإِلى الأَوَّل أَشارت بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله جلَّ ذكره : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (٢) .

وإِلى الأَوَّل والثَّاني أَشارت بياناته الأُخرىٰ ، منها :

بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه : «... **أَنَا صاحب النَّار ، أَقُولُ لَـهَا : خُذِي هٰذا ، وذري هذا ... أَنَا صاحب الهدَّة ، وَأَنَا صاحب اللَّوح المحفوظ ... أَنَا صاحب المعجزات والآيات ... أَنَا الَّذي حملتُ نوحاً في السَّفينة بأمر ربِّي ، وَأَنَا الَّذي أَخرجتُ يونس من بطن الحوت بإِذنِ رَبِّي ، وَأَنَا الَّذي جاوزتُ بموسىٰ بن عمران البحر بأمر رَبِّي ، وَأَنَا الَّذي أخرجتُ إبراهيم من النَّار بإِذن رَبِّي ، وَأَنَا الَّذي أَجريتُ أَنهارها ، وَفَجَّرتُ عيونها ،**

---

(١) أُصول الكافي، ١ : ١٧/ ح١٤.

(٢) المائدة : ٦٤ .

وغرستُ أَشجارها بإِذن رَبِّي ، وَأَنَا عذاب يوم الظُّلَّة ، وَأَنَا المنادي من مكان قريب قد سمعه الثقلان : الجنّ والإِنس وفهمه قوم ... لا تُسَمُّونا أَرْباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم ، فإِنَّكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله اللّـه لنَا ، ولا معشار العشر ... ولو قال قائل : لِمَ ، وكيف ، وَفِيم ؟ لكفر وأَشرك ؛ لأَنَّه لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون ... مَنْ آمن بما قلتُ ... فهو مؤمن ممتحن ... وَمَنْ شَكّ وعَنَدَ وجَحَدَ ووقف وتحيَّر وارتاب فهو مقصِّر وناصب ... الويل كُلّ الويل لِـمَنْ أَنكر فضلنا وخصوصيَّتنا ، وما أَعطانا اللّـه ربُّنا ؛ لأَنَّ مَنْ أَنْكرَ شيئاً مِـمَّا أَعطانا اللّـه فقد أَنْكرَ قدرة اللّـه عزَّوجلَّ ومشيَّته فينا ... وَحَقَّتْ كلمة العذاب على الكافرين ، أَعني الجاحدين بِكُلِّ ما أَعطانا اللّـه مِنَ الفضل والإِحْسان» (١).

ودلالته واضحة ولا غبار عليها.

وإِلى الثَّالث أَشارت بياناته الأُخرىٰ ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه مخاطباً حذيفة بن اليمان : «**يا حذيفة ، لا تُحَدِّث النَّاس بما لا يعلمون فيطغوا ويكفروا ، إِنَّ من العلم صعباً شديداً محمله ، لو حملته الجبال عجزت عن حمله ، إِنَّ علمنا أهل البيت يُستنكر ويبطل ويُقتل رواته ، ويُساء إِلى مَنْ يتلوه بغياً وحسداً لما فَضَّلَ اللّـه به عترة الوصي ، وصي النَّبيّ صلى الله عليه وآله ...**» (٢).

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١ ـ ٧/ ح١.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٨ : ٧٠ ـ ٧١/ ح٣١. غيبة النعماني : ٧٠ ـ ٧٢.

٢ـ بيان تفسير أَبي جعفر عليه السلام ، عن بريدة ، قال : «كنتُ عند أَبي جعفر عليه السلام فسألته عن قوله اللَّـه تعالىٰ : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١) ؛ قال: **فنحن النَّاس ، ونحن المحسودون على ما آتانا اللَّـه من الإمامة دون خلق اللَّـه جميعاً ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾** (٢) **جعلنا منهم الرسل والأَنبياء والأَئِمَّة** عليهم السلام **، فكيف يقرُّون بها في آل إِبراهيم ، ويُكَذِّبون بها في آل محمَّد** عليهم السلام **؟ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾** (٣) » (٤) .

٣ـ بيان تفسير الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن إِبراهيم ، قال : « قلت لأَبي عبداللَّـه عليه السلام: جُعِلْتُ فداك ، ما تقول في هذه الآية: **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾** (٥) ، قال : **نحن النَّاس الَّذين قال اللَّـه ، ونحن المحسودون ، ونحن أَهل المُلك ، ونحن ورثنا النَّبيِّين ، وعندنا عصا موسىٰ ، وإِنَّا لخزَّان اللَّـه في الأَرض ، لسنا بِخُزَّانٍ على ذهب ولا فضَّة ...**» (٦) .

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن الكناني ، قال : «قال أَبو عبداللَّـه عليه السلام : **يا أَبا الصباح ، نحن قوم فرض اللَّـه طاعتنا ، لنا الأَنفال ، ولنا صفو الـمال ، ونحن**

---

(١) النساء : ٥٤ .

(٢) النساء : ٥٤ .

(٣) النساء : ٥٥ .

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ٢٩٨/ح٤٤. تفسير فرات : ٢٨.

(٥) النساء : ٥٤ .

(٦) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ٢٩٩/ح٥٠.

الرَّاسخون في العلم ، ونحن المحسودون الَّذين قال اللّـه : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (١) .

ودلالة الجميع واضحة.

وفي ختام هذه المُقدِّمة يجدر الإلتفات إلى الأُمور التَّالية :

الأَوَّل : أَنَّ أَعظم أَنواع تواضع المخلوق لباريه (تقدَّس ذكره) : تعظيمه لمن عظمه (جلَّ قدسه) بقدره.

الثَّاني : أَنَّ أَعظم الصدق : الصدق في الحقائق الأَزليَّة ، وأَعظم الكذب والجحود والغشّ : الكذب والجحود والغشّ في الحقائق الأَزليَّة أَيضاً.

وهذه أَخطر من دون قياس من الصدق والكذب والجحود والغشّ في عَالَم السياسة والأُمور العامَّة ؛ لإِرتباطها بالحياة والنشأة الأُخرويَّة الأَبديَّة ، وبالمصير الأَبدي للمخلوقات.

الثَّالث : أَنَّ في ذات كُلِّ إِنسانٍ طبقات من الشرك يجب عليه تطهيرها.

الرَّابع : أَنَّ بعض طبقات الشرك الخفي يُطهَّر صاحبها منها في عَالَم القيامة.

الخامس : أَنَّ في ذات كُلّ مخلوقٍ طبقات من الحسد والبغض والعداء لأَهل البيت صلوات اللّـه عليهم يجب عليه تطهيرها.

ويدلُّ عليه : ما تقدَّم وما سيأتي (إِنْ شآء الله تعالىٰ) ؛ من ارتطام بقيَّة

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ١٩٤/ح٢٠. بصائر الدرجات : ٥٥.

الأَنبياء والرُّسل وجملة الملائكة منهم المُقرَّبين عليهم السلام ، وتوقُّفهم في مقامات وصفات وشؤون وأَحوال أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم.

السَّادس : أَنَّه دائماً التبرُّم والإِعتراض على ساحة القدس الإِلٰهيَّة ورجالاتها يحمل في طيَّاته إِعتقاد (والعياذ باللّـه تعالىٰ) بجهل ساحة القدس الإِلٰهيَّة وبجهل رجالاتها ، وهذا إِلحاد وشرك وكفر خفيٌّ شعر بذلك المخلوق أَم لا، وهو وإِنْ لم يخرج صاحبه عن دائرة الإِيمان والإِسلام ، لكنَّه يحطّ من مراتب ودرجات إِيمانه وإِسلامه ، ويحطُّ من حظِّه في عَالَم الآخرة الأَبديَّة.

السَّابع : الكفر والإِلحاد برتب ومراتب الحُجَج الإِلٰهيَّة كفر عظيم ومحذور خطير ، وهو الَّذي أَوقع إِبليس (عليه اللعنة) في ورطته ؛ فإِنَّه لَـمَّا لم يحفظ المراتب تطاول على حُجِّيَّة اللّـه ووليِّه ، وأَورثه الندامة الأَبديَّة.

الثَّامن : أَنَّ الإِمتحانات والإِختبارات المُهمَّة في البصيرة يَمتحن اللّـه بها الأُمَّة على مدىٰ الأَزمان والدهور.

المُقدِّمة السَّادسة :

هيمنة المخلوق المُتقدِّم وعلوّ كمالاته

ثُمَّ إِنَّ المخلوق المُتقدِّم والسَّابق رتبةً : مَـمَرٌّ للفيض الإِلٰهي للمخلوق المُتأَخِّر ، واللاحق رتبة ، ومحيطاً به ، ومهيمناً عليه.

وهذا التقدُّم والتأَخُّر ، والسبق واللحوق ليس بزماني ، بل رتبي

وعوالمي.

وهذا ما يُشير إليه بيان القاعدة المعرفيَّة القائلة : «**أَنَّ كُلَّ مقامٍ مُتقدِّمٍ مهيمن على المقام المُتأَخِّر ، ومقتضىٰ الهيمنة علو كمالات المُهَيْمِن**».

وعليه : فيكون رأس هرم طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة أَرفع كمالاً ، وأَعلىٰ مقاماً من الصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ ، ومَمَرَّ فيض لها فضلاً عمَّا دونها ، ويتصرَّف فيها ، ومُهَيْمِن ومسيطر عليها ومحيط بها ، ونافذ فيها وفي جميع شراشر وجوداتها نفوذ اللطيف في الأَغلظ ؛ لا بالممازجة والمزاولة ، وخارج عنها خروج اللطيف عن الأَغلظ ؛ لا بالمباينة والمزايلة.

وهناك قاعدة معرفيَّة عقليَّة أُخرىٰ ، من خفايا المباحث المعرفيَّة العقليَّة، تذكر في أَبواب المعارف ، وهي : أَنَّه : «**كلَّما ازدادت اللطافة : انعدمت النِّسَب والحُجُب والفواصل والأَبعاد ، واشتدَّ العلم والوجود والحضور ، واشتدَّت الإِحاطة والقدرة ، وكانت نِسبة جميع ما دون شديد اللطافة من العوالم والمخلوقات إِليه نِسْبَة واحدة ، لا سيما إِذا كان شديد اللطافة هو الجوهر المُجرَّد ؛ لأَنَّ نسبته إِليها نِسْبَة تقوُّم**».

وهذه معادلة فوق العلوم الرياضيَّة.

ومنه يتَّضح : حال طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم الصَّاعدة ، لا سيما رأس هرمها بلحاظ ما دونها من مخلوقات عَالَم السرمد والأَزل ؛ عَالَم الصفات والأَسماء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ فضلاً عمَّا دونها.

المُقدِّمة السَّابعة :

أَنواع الإِحاطة

ثُمَّ إِنَّه ينبغي الإِلتفات : أَنَّ الإِحاطة على أَنحاء ثلاثة :

أَحدها : الإِحاطة الماديَّة الجغرافيَّة. وهذه تُحيط بالسطح والظاهر قَطُّ.

ومجالها : إِذا كان المُحيط من عَالَمَ الأَجسام الغليظة.

مثالها : إِحاطة الكرة الكبيرة بالكرة الصغيرة.

وهذا النحو وإِن عُدَّ نحو من أَنحاء الإِحاطة في علم الرياضيِّات وعلم الهندسة ، لكنَّه بالدِّقَّة العقليَّة فيه مسامحة ظاهرة.

ومنه يتَّضح : أَنَّ الدِّقَّة العقليَّة تفوق الدِّقَّة في علم الرياضيَّات وعلم الهندسة ؛ لإِعتمادهما على قوَّة الخيال ، بخلاف الدِّقَّة العقليَّة ؛ فإِنَّها أَشرس من دون قياس من الدِّقَّة في علم الرياضيَّات وعلم الهندسة ؛ لإِعتمادها على قوَّة العقل. والفارق بين القوَّتين عظيم وشاسع جِدّاً ، بل من دون قياس أَيضاً ؛ فإِنَّ العقل عين مُسَلَّحَة أَشرس من عين قوَّة الخيال بمراتب لا متناهية.

وهذه نكتة نفيسة تأتي في أَبواب المعارف.

ثانيها : الإِحاطة الماديَّة غير الجغرافيَّة. وهذه تُحيط بالظَّاهر والباطن ، لكنَّها تبقىٰ ماديَّة وجسمانيَّة ولها مقدار.

ومجالها : إِذا كان المُحيط من عَالَمَ المادَّة وعَالَمَ الأَجسام اللطيفة.

مثالها : إِحاطة الأَشعَّة البنفسجيَّة أَو الحمراء أَو فوقها أَو تحتها بالأَجسام الأَغلظ.

ثالثها : الإِحاطة التجرُّديَّة ، وهذه إِحاطة وجوديَّة ، تكون فيها للمُحيط هيمنة وإِحاطة وقدرة أَعظم وجوداً وكمالاً من هيمنة وإِحاطة وقدرة ووجود وكمال المُحاط.

ومجالها : إِذا لم يكن المُحيط من عَالَم المادَّة والأَجسام ، وإِنَّما كان من عَالَم المُجرَّدات تجرُّداً تامّاً ـ كـ : الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وعَالَم الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ؛ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ـ ، فتكون نِسْبَة المُحيط إِلى جملة المُحاط ظاهره وباطنه نِسْبَة واحدة.

نظيره: نقطة مركز الدائرة بلحاظ جميع نقاط محورها [١] ، فإِنَّ نسبتها إِلى الجميع واحدة ؛ من دون أَيّ تبعُّض وتفاوت.

مثالها : ما أَشارت إِليه بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً : بيان قوله جلَّ ثناؤه : ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [٢] .

أَي : أَنَّ قربه وقدرته وسيطرته وهيمنته على جملة المخلوقات واحدة،

---

(١) مرجع الضمير : (الدائرة).

(٢) طٰه : ٥.

لا تتبعَّض ولا تتفاوت ، فهو سبحانه وتعالىٰ : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (١) .

إِذنْ : نِسْبَة المخلوقات بالنِّسْبَة إِليه (جلَّ ذكره) تتوحَّد ، فلا يغيب شيء عنه ؛ فجملة العوالم وكافَّة المخلوقات اللامتناهية في حضور واحدٍ لديه.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

١ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ؛ فإِنَّه سُئل : «عن قوله اللَّـه عزَّ وجلَّ : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ، فقال : **استوىٰ من كُلِّ شيء ، فليس شيء أَقرب منه من شيء**» (٢) .

٢ـ بيان الإِمام الكاظم عليه السلام ، عن يعقوب بن جعفر الجعفري ، قال : «ذُكر عنده قوم زعموا أَنَّ اللَّـه تبارك وتعالىٰ ينزل إِلى السَّماء الدُّنيا ، فقال: **إِنَّ اللَّـه لا ينزل ولا يحتاج إِلى أَنْ ينزل ، إِنَّما منظره في القرب والبُعد سوآء ، لم يبعد منه قريب ، ولم يقرب منه بعيد ، ولم يحتج إِلى شيءٍ ، بل يُحتاج إِليه...**» (٣) .

٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن القاسم بن يحيىٰ ، عن جدِّه الحسن ، قال : «وسُئِلَ عن معنىٰ قول اللَّـه : ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ، قال : **استولىٰ على ما دقَّ وجلَّ**» (٤) .

---

(١) الإخلاص : ٣.

(٢) بحار الأَنوار ، ٥٥ : ٧/ح٥.

(٣) المصدر نفسه ، ٣ : ٣١١/ح٥.

(٤) المصدر نفسه: ٣٣٦/ح٤٥. أُصول الكافي ، ١/ باب : معاني الأَسماء واشتقاقها : ٨٠/ح٣.

ثانياً : بيان قوله جلَّ قوله : ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ (١) .

ومعناه : أَنَّه (تقدَّس ذكره) لا يحدّه ولا يحبسه مكان ولا زمان.

ثالثاً : بيان قوله عزَّ من قائل : ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ (٢) .

ودلالته قد اِتَّضحت.

وبالجملة : النِّسْبَة بين الشيء الواحد والأَشياء الكثيرة إِنْ كانت واحدة ولم تختلف فالإِحاطة منه لها تجرُّديَّة ، وإِلَّا فماديَّة.

إِذنْ : في عَالَمِ المُجرَّدات تجرُّداً تامّاً ـ كـ : طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ـ لا توجد أَبداً نِسب مُتكثِّرة ، وإِنَّما نِسبة فاردة.

أَحد تفاسير بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «أَنا النقطة الَّتي تحت الباء»

ومن كُلِّ ما تقدَّم يتَّضح : أَحد تفاسير بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه المُتقدِّم : «**أنا النقطة الَّتي تحت الباء**» ، وبيانه عليه السلام أَيضاً : «**أَنَا النقطة أَنا الخطّ ، أَنا الخطّ أَنا النقطة ، أَنا النقطة والخطّ**» ؛ فإِنَّ رأس هرم طبقات حقيقته صلوات اللَّـه عليه الصَّاعدة لَـمَّا كانت مُجرَّدة تجرُّداً تامّاً كانت جميع العوالم وكافَّة المخلوقات ما عدا رأس هرم طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الصَّاعدة بالنِّسْبَة إِلى تلك الطبقة نِسْبَة واحدة.

---

(١) فُصِّلَت : ٥٤.

(٢) النساء : ١٢٦.

نظيره : ـ ما مرَّ من مثال ـ نقطة مركز الدائرة الهندسيَّة بالنِّسْبَة إِلى نقاط محيطها ، فإِنَّها واحدة لا تتفاوت ولا تتبعَّض.

فمخلوقات : (عَالَمَ السَّرمد والأَزل) و (الذَّرَّة) بالنِّسبة إِليه صلوات اللَّـه عليه بلحاظ تلك الطبقة شيء واحد ، وهيمنته عليها واحدة من دون تبعُّض وتفاوت.

ويضاف إِليه : ما تقدَّم من أَنَّ جملة العوالم وكافَّة المخلوقات على حدٍّ سوآء بالنِّسْبَة إِلى الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، لا تتبعَّض ولا تتفاوت ، وهي كنقطة واحدة إِلى الذات المُقدَّسة. هذا هو شأن الذات المُقدَّسة. وحيث إِنَّه تقدَّم أَيضاً : أَنَّ كُلَّ ما تَّتصف به الذات المُقدَّسة من صفات وأَسماء وكمالات وشؤون إِلَّا الأُلوهيَّة تنعكس من الذات الإِلٰهيَّة وتظهر وتتجلَّىٰ في طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، وتتَّصف بها حكايةً ووجوداً ظلِّيّاً ومن الغير. ومن تلك الصفات والأَسماء والكمالات والشؤون الإِلٰهيَّة : استواء جملة العوالم وطرّ المخلوقات من الذَّرَّة إِلى أَعلىٰ وأَرفع مخلوق إِلى الذات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، وتكون جميعها إِليه (جلَّ شأنه) كـ : نقطة واحدة ؛ لا تتبعَّض ولا تتفاوت. هكذا حال طبقات حقيقة أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه الصَّاعدة بلحاظ كافَّة العوالم وسائر المخلوقات اللامتناهية ـ عدا رأس هرم طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الصَّاعدة ـ مستوية ومهيمنة عليها ، وداخلة فيها دخول اللطيف في الأَغلظ لا بالممازجة والمزاولة ، وخارجة عنها خروج اللطيف من الأَغلظ لا بالمباينة والمزايلة ، وتكون جميعها إِليه عليه السلام بلحاظ تلك الطبقة كـ : نقطة واحدة ؛ لا تتبعَّض ولا تتفاوت من مثقال الذَّرَّة إِلى أَرفع مخلوق يتلو تلك الطبقة.

المُقدِّمة الثامنة :

غائيَّة الخالق (عزَّوجلَّ) تختلف عن غائيَّة المخلوق

إِنَّ غائيَّة الخالق تختلف عن غائيَّة المخلوق ، فغائيَّته تعالىٰ : أَنَّ الكُلَّ يستعينُ به (جلَّ وتقدَّس) ، ويتوجَّه إِليه وإِنْ كان ملحداً أَو كافراً أَو عابدِ وثنٍ ؛ شعر بذلك أَم لا ، فإِنَّ من فرَّ منه (تقدَّست أَسماؤه) كرَّ إِليه ، فلا ملجأ منه إِلَّا إِليه ، فمَنْ أَلحد أَو أَشرك أَو كفر به أَو عصاه فقد هرب منه ومن أَسمآء الجمال والرَّحمة الإِلٰهيَّة والتجئ إِليه وإِلى أَسماء الجلال والقهر والعذاب الإِلٰهيَّة ، فالمطيع يتوجَّه إِليه (عظمت آلاؤه) ويستعين به من خلال الاسم الإِلٰهي : (الرحمٰن ، والرحيم ، والغفَّار ، والوهاب ، والرزَّاق ، والباسط ، والرافع ، والمُعزّ ، والشكور ، والحفيظ ...) ، بخلاف المُلحد والمُشرك والكافر والعاصي ، فإِنَّهم يتوجَّهون إِليه (جلَّ اسمه) ويستعينون به من خلال الاسم الإِلٰهي : (القهَّار ، والقابض ، والمُذِل ، والمقيت ، والمنتقم ، والمانع ، والضَّار ...) ، فكلٌّ يعبُد اللّـه ـ المُسَمَّىٰ ـ صاحب الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ـ وليس الاسم ـ ويستعين ويلوذ به ، ويتضعضع ويخشع وينقاد ويفتقر إِليه ، ويستمدُّ منه ، لكن ليس الجميع : عبادة واستعانة ولوذ وتضعضع وخشوع وانقياد وافتقار واستمداد طائع وطاعة ، وإِنَّما بعضها : استعانة ولوذ وتضعضع وخشوع وانقياد وافتقار واستمداد معصية وعاصي.

وإِلى كُلِّ هذا تشير بيانات الوحي الإِلٰهي ، منها :

١ـ بيان قوله عزَّ ذكره : ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا

آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (١).

٢ـ بيان قوله جلَّ ذكره: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (٢).

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ قد اتَّضحت.

٣ـ بيانه جلَّ ثناؤه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣).

ودلالته قد اتَّضحت أَيضاً؛ فإِنَّ (وجه اللَّـه) تارة وجه رحمة ونعمة، وأُخرىٰ عذاب ونقمة.

٤ـ بيان الإِمام الصادق عليه السلام، عن حماد بن عمرو النصيبي، قال: «سألتُ جعفر بن مُحَمَّد عليهما السلام عن التوحيد، فقال: **واحد، صمد ... معروف عند كُلّ جاهل...**» (٤).

ودلالته قد اتَّضحت أَيضاً.

إِذنْ: جملة المخلوقات وفي كافَّة العوالم تتَّجه بفطرتها إِلى ساحة القدس الإِلٰهي شعر بذلك المخلوق أَم لا، **لكن**: العاصي يتَّجه بفطرته إِليه (جلَّ قدسه) من جهة صراط الجحيم وبئس الورد المورود.

---

(١) مريم: ٩٣.

(٢) النساء: ٧٨.

(٣) البقرة: ١١٥.

(٤) بحار الأَنوار، ٤: ٢٨٦/ح١٨.

وبالجملة : أَنَّه ليس لمخلوق البتة ـ وإِنْ كان غيّاً غاوياً ـ انقطاع تام عن اللَّـه ـ المُسَمَّىٰ ـ (عزَّ اسمه) ، بل لا بُدَّ له من الاتِّجاه والتوجُّه إِليه (عزَّ وجهه) والإِستعانة به ، لكنَّ اتِّجاه وتوجُّه العاصي ليس إِتِّجاه وتوجُّه واستعانة لدار الجنان وبأسماء الجمال ـ خلافاً لِـمَا توهَّمه ابن عربي وجملة من العرفاء والصوفيَّة ـ وإِنَّما اتجاه واستعانة إِلى قذف نفسه بين أَغلال ودركات وأَطباق عذاب نار الجحيم ، وبأَسماء الجلال ـ كـ : اسم المنتقم والجبَّار ـ .

تفسيرٌ آخر لبيان أَمير المؤمنين عليه السلام المُتقدِّم

ومنه يتَّضح : وجهٌ وتفسيرٌ آخرٌ لبيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه المُتقدِّم : «**أَنا النقطة الَّتي تحت الباء**» ، وبيانه عليه السلام أَيضاً : «**أَنَا النقطة أَنا الخطُّ ، أَنا الخطُّ أَنا النقطة ، أَنا النقطة والخطُّ**» ، فإِنَّ مراده صلوات اللَّـه عليه من : (الخطِّ) : الصراط والخطّ المُستقيم الفارد والحصري الموصل إِلى ساحة القدس الإِلٰهيَّة.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً : بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله مخاطباً أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه : «**يا عَلِيّ ، أَنتَ ... ركن الدِّين ، وأَنْتَ مصباح الدجىٰ ، وأَنْتَ منار الهدىٰ ...مَنْ تبعك نجا ، وَمَنْ تخلَّفَ عنك هَلَك ، وأَنت الطريق الواضح ، وأَنْتَ الصراط المُستقيم ...**»[1] .

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٤ : ١٠٠/ح٢٠. أمالي الصدوق : ١٨٤.

ثانياً : بيانه ﷺ ، مخاطباً أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه أَيضاً : «**يا عَلِيّ، أنت حُجَّة اللَّـه ، وأَنْتَ باب اللَّـه ، وأَنْتَ الطَّريق إلى اللَّـه ، وأَنْتَ النبأ العظيم ، وأَنْتَ الصراط المستقيم ...**» (١) .

ثالثاً : بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه : «... **وأَنَا الصراط المُستقيم ، وأَنَا النبأ العظيم الَّذي هم فيه مختلفون ، وَلَا أَحَد اختلف إِلَّا في ولايتي...**» (٢) .

ودلالة الجميع واضحة.

ومراده صلوات اللَّـه عليه من : (النقطة) : نقطة (باء الاستعانة) ، وهي (٣) روحها ومركزها ، ولولاها لَـمَا تشخَّصت ، وهي (٤) أَوَّل حرف ورد في القرآن الكريم ، **ومعناها** : أَنَّ جملة العوالم وسائر المخلوقات ـ مؤمنة كانت أَم لا ـ لا يمكنها إِلَّا أَنْ تستعين بالذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وتمدّ حولها وقوتها وفقرها الذاتي ليس إِلَّا منه (جلَّ شأنه).

وهذه الصفة والاسم والكمال والشأن الإِلٰهي قد انعكس وظهر وتجلَّىٰ في طبقات حقيقة أَمير المؤمنين عليه السلام وحقائق بقيَّة أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ١١١/ ح٤٦. عيون الأخبار : ١٨١.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١ ـ ٧/ ح١.

(٣) مرجع ضمير (وهي) : (نقطة باء الإستعانة).

مرجع ضمير (روحها) و (مركزها) : (باء الاستعانة).

(٤) مرجع الضمير : (باء الإِستعانة).

الصَّاعدة ، فكانت طرّ العوالم وجميع المخلوقات ـ شعرت بذلك أَم لا ـ لا يمكنُها إِلَّا أَنْ تستعين بتلك الطبقات ، وتمدُّ منها حولها وقوَّتها ، وفقرها الذاتي الخارم لجملة شراشرها ، ولكافَّة جزئيَّات وذرَّات حقائقها.

مضافاً : أَنَّ طبقات حقيقة أَمير المؤمنين عليه السلام وطبقات حقائق بقيَّة أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة هي الوسيلة والواسطة الحصريَّة ، والسبب والرباط الأَدنىٰ في قوس الصعود لولوج المخلوق وأَعماله ساحة القدس الإِلٰهيَّة ، والوسيلة أَيضاً والواسطة الحصريَّة والسبب الوحيد لتمتُّعه في قوس النزول بالفيض الإِلٰهي ، فمن دون الإِستعانة بطبقات حقائقهم صلوات اللّـه عليهم الصَّاعدة لن يتمكَّن مخلوقٌ البتَّة ، أَبد الآباد ودهر الدُّهور ، ولا أَعماله في طرِّ العوالم من الوصول إِلى ساحة القدس الإِلٰهيَّة ، وكذا لن يتمكَّن البتَّة من استمداد حوله وقوَّته وعطائه إِلَّا بعد نشب أَظفاره بطبقات حقائقهم صلوات اللّـه عليهم الصَّاعدة والإِستعانة بها ، شعر بذلك المخلوق أَم لا.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

بيان سيِّد الأَنبيّاء صلى الله عليه وآله : «...فقال له أصحاب رسول اللّـه صلى الله عليه وآله : ما أَسوأ حال هذا واللّـه. قال رسول اللّـه صلى الله عليه وآله : **أَوَ لَا أُنبِّئكم بأَسوأ حالاً من هذا** ؟ قالوا : بلىٰ يا رسول اللّـه. قال : **رَجُل حضر الجهاد في سبيل اللّـه ، فقُتِلَ مُقبلاً غير مدبر ، والحور العين يطَّلَعن إِليه ، وخزَّان الجنان يتطلَّعون ورود روحه عليهم ، وأَملاك الأَرض** [1] **يتطلَّعون نزول حور العين إِليه ،**

(١) في المصدر : (وأَملاك السمآء وأَملاك الأَرض).

والملائكة وخزَّان الجنان فلا يأتونه. فتقول ملائكة الأَرض حوالي[١] ذلك المقتول : ما بال الحور العين لا ينزلن إِليه ؟ وما بال خزَّان الجنان لا يردون عليه ، فينادون من فوق السمآء السَّابعة : يا أَيَّتها الملائكة ، انظروا إِلى آفاق السمآء ودوينها ، فينظرون فإذا توحيد هذا العبد وإِيمانه برسول اللَّـه ﷺ وصلاته وزكاته وصدقته وأَعمال بِرّه كُلّها محبوسات دوين السمآء ، قد طبَّقت آفاق السمآء كلِّيّاً كالقافلة العظيمة ، قد ملأت ما بين أَقصىٰ المشارق والمغارب ، ومهابّ الشمال والجنوب ، تُنادي أَملاك تلك الأَثقال[٢] الحاملون لها ، الواردون بها : ما بالنا لا تفتح لنا أَبواب السَّماء لندخل إِليها بأعمال[٣] هذا الشَّهيد. فيأمر اللَّـه بفتح أَبواب السَّمآء فتفتح ، ثُمَّ ينادي : يا هؤلاء الملائكة[٤] أدخلوها إِنْ قدرتم ، فلا تقلَّهُم[٥] أَجنحتهم ولا يقدرون على الارتفاع بتلك الأَعمال ، فيقولون : يا ربّنا ، لا نقدر على الارتفاع بهذه الأَعمال ، فيناديهم منادي ربّنا عزَّوجلَّ : يا أَيُّها الملائكة ، لستم حُمَّال هذه الأَثقال[٦] الصَّاعدين[٧] بها ، إِنَّ حملتها الصاعدين بها مطاياها الَّتي ترفعها إِلى دوين العرش ، ثُمَّ تقرّها في درجات الجنان. فيقول الملائكة : يا ربّنا ، ما مطاياها ؟ فيقول اللَّـه تعالىٰ : وما الَّذي حملتم من عنده ؟ فيقولون: توحيده

---

(١) في نسخة : (حول).

(٢) في نسخة : (الأَعمال). وفي نسخة من المصدر : (الأَفعال).

(٣) في نسخة : (أَعمال).

(٤) في المصدر : (يا هؤلاء الأَملاك).

(٥) في المصدر : (فلا تقلها).

(٦) في نسخة: (الأَعمال).

(٧) في نسخة (الصاعدون).

لك ، وإيمانه بنبيِّكَ. فيقول اللَّـه تعالىٰ : فمطاياها موالاة عَلِيّ أَخي نبيّي ، وموالاة الأَئمَّة الطَّاهرين ، فإِنْ أَتَت فهي الحاملة الرَّافعة الواضعة لها في الجنان. فينظرون فإذا الرَّجُل مع ماله من هذه الأَشياء ليس له موالاة عَلِيّ والطَّيِّبين من آله ومعاداة أعدائهم. فيقول اللَّـه (تبارك وتعالىٰ) للأَملاك الَّذين كانوا حامليها : اعتزلوها والحقوا بمراكزكم من ملكوتي، ليأتيها مَنْ هو أَحَقّ بحملها ووضعها في موضع استحقاقها. فتلحق تلك الأَملاك بمراكزها المجعولة لها. ثُمَّ ينادي منادي رَبّنا (عزَّوجلَّ) : يا أَيَّتها الزبانية ، تناوليها وحطِّيها إِلى سواء الجحيم ؛ لأَنَّ صاحبها لم يجعل لها مطايا من موالاة عَلِيّ عليه السلام والطَّيِّبين من آله، قال : فتُنادي[1] تلك الأَملاك ، ويقلب اللَّـه تلك الأَثقال أَوزاراً وبلايا على باعثها[2] ؛ لِـمَا فارقها عن مطاياها من موالاة أَمير المؤمنين عليه السلام. ونادت تلك الملائكة إِلى مخالفتهِ لِعَلِيٍّ عليه السلام وموالاته لأَعدائه ، فيسلِّطها اللَّـه (عزَّوجلَّ) وهي في صورة الأُسود على تلك الأَعمال، وهي كالغربان والقرقس[3] ، فيخرج من أَفواه تلك الأُسود نيران تحرقها ، وَلَا يبقىٰ[4] له عمل إِلَّا أُحبط[5] ، ويبقىٰ عليه موالاته لأعداء عَلِيّ عليه السلام ، وجحده ولايته فيقرّ[6] ذلك في سوآء الجحيم ، فإِذا هو قد

---

(١) في نسخة : (فتأتي).

(٢) في نسخة من المصدر : (على فاعلها).

(٣) في نسخة : (والقرقش).

(٤) في نسخة : (فلا يبقىٰ).

(٥) وفي نسخة : (إِلَّا حبط).

(٦) في المصدر : (فيقرَّه).

حبطت أَعماله، وعظمت أَوزاره وأثقاله ...» [١] .

ودلالته واضحة.

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ١٨٧ ـ ١٩٠/ ح٤٦. التفسير المنسوب إِلى الإِمام العسكري عليه السلام: ٢٧ ـ ٢٩.

خاتمة

قضيَّتان لا بأس بالإِلتفات إِليهما ، وهي :

القضيَّة الأُولى :

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام علل غائيَّة

هناك قاعدة تُذْكَر في المباحث المعرفيَّة ، وهي : «**أَنَّ الموجود والمخلوق السَّافل لا يُخلق لأَجل الموجود والمخلوق السَّافل ، بل لأَجل الموجود والمخلوق العالي**».

وعليه : تكون جملة العوالم الإِلٰهيَّة اللامتناهيَّة ، وكافَّة المخلوقات الإِلٰهيَّة اللامتناهية مخلوقة لأَجل طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان حديث الكساء : «... **وعِزَّتي وجلالي ، إِنِّي ما خَلَقتُ سمآءً مبنيَّةً ولا أَرضاً مدحِيَّةً ، ولَا قَمَراً مُنيراً ، ولا شمساً مُضيئةً ، ولا فَلَكاً يَدُور ، ولا بحراً يَجرِي ، ولا فُلْكاً تَسرِي إِلَّا لأَجْلِكُمْ ... ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** (١) ...» (٢).

---

(١) الأحزاب : ٣٣.

(٢) عوالم العلوم ، ١١ / قسم : ٢ : ٩٣٣ .

٢ـ بيان الحديث القدسي مُنضمّاً إِليه بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ : «... **وأَنَّ أَبي آدم لَـمَّا رأَىٰ اسمي واسم عَلِيّ وابنتي فاطمة والحسن والحسين وأَسمآء أَولادهم مكتوبة على ساق العرش بالنُّور قال : إِلٰهي وسيِّدي ، هل خلقتُ خلقاً هو أَكرم عليكَ مِنِّي ؟ فقال : يا آدم ، لولا هذه الأَسمآء لَـمَا خلقتُ سمآءً مبنيَّة ، ولا أَرضاً مدحيَّة ، ولاملكاً مُقَرَّباً ، ولا نبيّاً مرسلاً ، ولا خلقتك يا آدم ، فلَمَّا عصىٰ آدم ربَّه وسأله بحقِّنا أَنْ يتقبَّل توبته ، ويغفر خطيئته فأجابه ، وكُنَّا الكلمات تلقَّاها آدم من ربِّه (عزَّوجلَّ) ، فتاب عليه، وغفر له ... فحمد آدم ربَّه (عزَّوجلَّ) وافتخر على الملائكة بنا...**» (١) .

٣ـ بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه : «... **وإِنَّ جميع الرسل والملائكة والأَرواح خلقوا لخلقنا ...**» (٢) .

٤ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «...**إِنَّ لَنَا عند اللَّـه منزلة ومكاناً رفيعاً ، ولولا نحن لم يخلق اللَّـه أَرضاً ولا سمآءً ، ولا جنَّةً ولا ناراً ، ولا شمساً ولا قمراً ، ولا بَرّاً ولا بحراً ، ولا سهلاً ولا جبلاً ، ولا رطباً ولا يابساً ولا حلواً ولا مرّاً ، ولا ماءً ، ولا نباتاً ولا شجراً ، اخترعنا اللَّـه من نور ذاته، لا يُقاس بنا بشر...**» (٣) .

٥ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «... **لَـمَّا رأَوا أَسماءنا مكتوبة على سرادق العرش ... قال اللَّـه : ... لولا هؤلاء ... ما خلقتُ سمآءً مبنيَّة ، ولا أَرضاً**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٥ : ٢٣/ ح١٥، الروضة : ١٧ ـ ١٨ . روضة الواعظين : ٧٢ ـ ٧٤.

(٢) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ٣٥٠/ ح٢٤. تفسير فرات : ٦١ ـ ٦٢.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٨ ـ ١٧/ ح٢.

مدحيَّة ، ولا مَلَكاً مُقرَّب ، ولا نبيّاً مرسل ، ولا خلقتكَ يا آدم ...» (١) .

٦ـ بيان الإِمام الرضا صلوات اللَّـه عليه : «**... وإِنَّ آدم لَـمَّا أَكرمه اللَّـه (تعالىٰ ذكره) بإِسجاد ملائكته له ، وبإِدخاله الجنَّة قال في نفسه : هل خلق اللَّـه بشراً أَفضل مِنِّي ؟ فعلم اللَّـه (عزَّوجلَّ) ما وقع في نفسه فناداه : ارفع رأسكَ يا آدم ، فانظر إِلى ساق عرشي ، فرفع آدم رأسه فنظر إِلى ساق العرش، فوجد عليه مكتوباً : لَا إِلٰه إِلَّا اللَّـه ، مُـحمَّد رسول اللَّـه ، عَلِيّ بن أبي طالب أَمير المؤمنين ، وزوجته فاطمة سيِّدة نساء العالمين ، والحسن والحسين سيِّدا شباب أَهل الجنَّة. فقال آدم** عليه السلام : **يا ربّ ، مَنْ هؤلاء ؟! فقال (عزَّوجلَّ) : من ذرِّيَّتكَ ، وهم خير منكَ ، ومن جميع خلقي ، ولولا هُم ما خلقتكَ ، ولا خلقتُ الجنَّة والنَّار ، ولا السَّمآء والأَرض ، فإِيَّاكَ أَنْ تنظر إِليهم بعين الحسد؛ فأخرجكَ عن جواري...»** (٢) .

ودلالة الجميع قد اِتَّضحت.

وهذا أَحد معاني خلوص وإِخلاص السَّافل للعالي ؛ لأَنَّ كمال السَّافل يكمن في توجُّهه إِلى العالي ، لا في تمحوره حول ذاته.

ومنه تتَّضح : كثير من بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان الحديث القدسي مخاطباً (تقدَّس ذكره) سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**يا أَحمد، لولاك لَـمَا خلقتُ الأَفلاك ، ولولا عَلِيّ لَـمَا خلقتُكَ ، ولولا فاطمة لَـمَا**

---

(١) الهداية الكبرىٰ : ٤٣٢.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٧٣/ح١٥. عيون الأَخبار : ١٧٠.

خلقتكما»[١].

فإنَّه دالٌّ على أَنَّ جملة الأَفلاك لم تُخلق لولا حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ؛ فإنَّها علَّة غائيَّة لها. وكذا طبقات حقيقته صلى الله عليه وآله النَّازلة ؛ فإنَّها لم تُخلق لولا طبقات حقيقة أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه الصَّاعدة ؛ فإنَّ طبقات حقيقته عليه السلام الصَّاعدة علَّة غائية لطبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله النازلة. وعلى هذا قس طبقات حقيقتيهما صلوات اللَّـه عليهما وعلى آلهما النازلة ؛ فإنَّها لم تُخلق لولا طبقات حقيقة فاطمة الزهراء صلوات اللَّـه عليها الصَّاعدة؛ فإنَّها علَّة غائيَّة لطبقات حقيقتيهما صلوات اللَّـه عليهما وعلى آلهما النازلة.

القضيَّة الثانية:

خارطة جملة عوالم الخلقة برسم وتخطيط أَهل البيت عليهم السلام

إنَّ المستفاد من بيانات الوحي : أَنَّ خارطة مسار جملة عالم الدُّنيا برسم وتخطيط أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم ، بل وخرائط مسارات كافَّة العوالم وجميع مخلوقاتها ، كـ : عالم البرزخ ، وعالم الرجعة ، وعالم القيامة ، وعالم الآخرة الأَبديَّة ، وعوالم ما بعدها ، بل وعوالم ما قبل هذه النشأة الأَرضيَّة لم تكن إلَّا بتخطيطهم صلوات اللَّـه عليهم.

---

(١) عوالم العلوم : ٢٦. ملتقىٰ البحرين: ١٤. مستدرك سفينة البحار، ٣: ٣٣٤. الجنَّة العاصمة : ١٤٨. مجمع النورين : ١٤.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ـ المُتقدِّم ـ : «... **أَنا دحوتُ أَرضها، وأَنشأتُ جبالها ، وفجَّرتُ عيونها ، وشققتُ أَنهارها ، وغرستُ أَشجارها ، وأَطعمتُ ثمارها ، وأَنشأتُ سحابها ، وَأَسمعتُ رعدها ، ونوَّرتُ برقها ، وأَضحيتُ شمسها ، وأَطلعتُ قمرها ، وأَنزلتُ قطرها ، ونصبتُ نجومها ... وسكنتُ أَطوادها ، وأَنشأتُ جواري الفلك فيها ، وأَشرقتُ شمسها ... ادخلوا الباب سجّداً أغفر لكم خطاياكم وأزيد المحسنين ، بي وعلى يديّ تقوم السَّاعة...**» (١) .

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «« **... أَنَا مُنزل الملائكة منازلها ... أَنا المُنادي لهم : أَلستُ بربِّكم ؛ بأَمر قيُّوم لم يزل ... أَنا صاحب الهبات بعد الهبات ولو أَخبرتكم لكفرتم ... أَنا منشئ الأَنام ... أَنا صاحب النجوم ، أَنا مُدبِّرها بأَمر ربّي ... أَنا المُعطِي ، أَنا المُبذِل ، أَنا القابض يدي على القبض ... أَنا صاحب القطر والمطر ، أَنا صاحب الزلازل والخسوف ... أَنا صاحب الغيث بعد القنوط...**» (٢) .

٣ـ بيان خطبته عليه السلام أَيضاً : «**أَنَا عندي مفاتيح الغيب ... أَنَا أَقمتُ السَّماوات بأَمر ربِّي ... أَنَا أَمر الحي الَّذي لا يموت ، أَنَا ولي الحقّ على سائر الخلق ... أَنَا المفوَّض إِلَيَّ أَمر الخلائق ، أَنَا خليفة الإِلٰه الخالق ... أَنَا أَرسيتُ**

---

(١) بحار الأَنوار، ٣٩: ٣٤٨.

(٢) مشارق أَنوار اليقين في أَسرار أَمير المؤمنين عليه السلام، الخطبة الإِفتخاريَّة: ١٦٥ ـ ١٦٦.

الجبال الشَّامخات ، وفَجَّرتُ العيون الجاريات ... أَنَا مُقدِّر الأَقوات ، أَنَا ناشر الأَموات ، أَنَا مُنزل القطر ، أَنَا مُنَوِّر الشَّمس والقمر والنجوم ، أَنَا قيِّم القيامة ... أَنَا مُحصي الخلائق وإِنْ كثروا ...» (١) .

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، الوارد في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام : «... **هذا كُلّه لآل مُحَمَّد لا يُشاركهم فيه مُشارك ... خلقهم الله من نور عظمته ، وولَّاهم أَمر مملكته ...**» (٢) .

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن سلمان (رضوان اللَّـه عليه) ، قال: «... **وإِنَّ اللَّـه عزَّوجلَّ جعل أَمر الدُّنيا إِلَيّ** ...قال سلمان: ...ثُمَّ إِنَّ أَمير المؤمنين عليه السلام أَمر الريح فسارت بنا إلى جبل قاف فانتهيت (٣) إليه ، وإذا هو من زمرِّدة خضراء وعليها (٤) ملك على صورة النسر ، فلَمَّا نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال الملك : السَّلَامُ عَلَيْكَ يا وصيّ رسول اللَّـه وخليفته ، أَتأذن لي في الكلام؟ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلام وقال له: **إِنْ شئت تكلَّم ، وإِنْ شئت أَخبرتُكَ عمَّا تسألني عنه**. فقال الملك: بل تقول أنت يا أمير المؤمنين. قال: **تريد أَنْ آذن لك أن تزور الخضر** عليه السلام، قال: نعم، فقال عليه السلام: **قد أذنت لك** ... فقال سلمان: يا أَمير المؤمنين ، رأيتُ الملك ما زار الخضر إِلَّا حين أَخذ إذنك. فقال عليه السلام: **والَّذي رفع السماء بغير عمد ، لو أَنَّ أَحدهم رام أَنْ يزول من مكانه بقدر**

---

(١) مشارق أَنوار اليقين في أَسرار أَمير المؤمنين عليه السلام، الخطبة الإِفتخاريَّة : ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.

(٣) في المصدر : (فانتهينا).

(٤) في نسخة : (من زمرِّدة خضرة وعليه).

نفسٍ واحدٍ لَـمَا زال حتَّىٰ آذن له ، وكذلك يصير حال ولدي الحسن ، وبعده الحسين وتسعة من ولد الحسين... والَّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة إِنِّي لأَملك من ملكوت السَّماوات والأَرض ما لو علمتم ببعضه لما احتمله جنانكم...» (١) .

٦ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «**إِنَّ اللَّـه لم يزل فرداً مُتَفَرِّداً في الوحدانيَّة ، ثُمَّ خلق محمَّداً وعليّاً وفاطمة عليهم السلام ... وفوَّض أَمر الأَشياء إِليهم في الحُكم والتصرُّف والإِرشاد ، والأَمر والنهي في الخلق ؛ لأَنَّهم الولاة فلهم الأَمر والولاية والهداية ، فهم أَبوابه ونوَّابه وحجَّابه ، يُحلِّلون ما شاء ، ويُحرِّمون ما شاء ، ولا يفعلون إِلَّا ما شآء ، عباد مُكرمون ، لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون...**» (٢) .

٧ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ـ المتقدِّم ـ ، عن المفضَّل بن عمر ، قال: «... فقلتُ له: يابن رسول اللَّـه ، فعَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام يُدخل مُحبّه الجنَّة ومبغضه النَّار أَو رضوان ومالك ؟ فقال: **يا مفضَّل ... فَعَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام إِذاً قسيم الجنَّة والنَّار عن رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله ، ورضوان ومالك صادران عن أَمره بأمر اللَّـه (تبارك وتعالىٰ)، يا مفضَّل ، خُذ هذا ؛ فإِنَّه من مخزون العلم ومكنونه ، لا تخرجه إِلَّا إِلى أَهله**» (٣) .

٨ـ إِطلاق بيانه عليه السلام ، عن إِسماعيل بن عبد العزيز ، قال: قال لي جعفر

---

(١) بحار الأَنوار، ٢٧: ٣٣ ـ ٤٠/ح٥. المحتضر: ٧١ ـ ٧٦.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٥: ٣٣٩/ح٢١.

(٣) المصدر نفسه ، ٣٩ : ١٩٤ـ ١٩٦/ح٥. علل الشرائع : ٦٥.

ابن مُحَمَّد عليه السلام: «**إِنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يُفَوَّض إِليه ... وإِنَّ الله فوَّض إِلى مُحَمَّد صلى الله عليه وآله نَبيَّه ، فقال : ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾** (١)». فقال رَجلٌ: إِنَّما كان رسول الله صلى الله عليه وآله مفوَّضاً إِليه في الزَّرع والضَّرع ، فلوَىٰ جعفر عليه السلام عن عنقه مُغضباً ، فقال: «**في كلِّ شيء ، والله في كُلِّ شيء**» (٢).

٩ـ بيان زيارتهم صلوات اللّـه عليهم الجامعة: «...**السَّلام عليكم يا أَهل بيت النُّبوَّة ، وموضع الرسالة ... وقادة الأُمم ... وساسة العباد ... إِصطفاكم بعلمه ... وفوَّض إِليكم الأُمور ، وجعل لكم التَّدبير ، وعرَّفكم الأَسباب ... وأَعطاكم المقاليد ، وسخَّر لكم ما خلق ... إِياب الخلق إِليكم ، وحسابهم عليكم ، وفصل الخطاب عندكم ... وأَمره إِليكم ... لم تزالوا بعين اللّـه وعنده ، وفي ملكوته تأمرون ، وله تخلفون ، وإِيَّاه تُسبِّحون ، وبعرشه محدقون ، وبه حافُّون حتَّىٰ مرَّ بكُم علينا ، فجعلكم في بيوتٍ أَذن اللّـه أَنْ تُرفع ويُذكر فيها اسمه ...**» (٣).

١٠ـ بيان زيارة أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **السَّلامُ عليكَ يا أَمير المؤمنين عَلِيّ بن أَبي طالب ... السَّلام عليكَ يا ... صاحب الدُّنيا ... السَّلام عَلَيكَ يا حافظ سرّ الله ، وممضي حكم الله ، ومجلي إرادة الله ، وموضع مَشيَّة الله ... وولي الملك الدَّيَّان ... السَّلام عليكَ يا عماد الجبَّار ... السَّلام عليكَ يا مشهوراً في السَّماوات العليا ، ومعروفاً في الأَرضين السَّابعة السُّفلىٰ ... السَّلَامُ**

---

(١) الحشر : ٧.

(٢) بحار الأَنوار ، ١٧ : ٩/ح١٦. بصائر الدرجات : ١١١ ـ ١١٢.

(٣) بحار الأَنوار، ٩٩/ الزيارة الثالثة: ١٤٦ ـ ١٥٩.

عليكَ أَيُّها النَّازل من علِّيِّين ، والعَالِم بما في أَسفل السَّافلين ... اجتباكَ الله لقدرته ، فجعلكَ عصا عزِّه ، وتابوت حكمته ...» [١] .

ودلالة الجميع واضحة ، ولا غبار عليها.

ومن ثَمَّ لا تكون بياناتهم المعرفيَّة وسِيَرهُم وأَفعالهم عليهم السلام استراتيجيَّة حضارة فحسب ، بل واستراتيجيَّة عوالم ومخلوقات لا يعيها [٢] بقيَّة البشر ، بل ولا بقيَّة الأَنبياء والملائكة المُقرَّبين عليهم السلام. ومن ثَمَّ فلسفة بياناتهم صلوات اللَّـه عليهم وسِيَرهم وأَفعالهم ليست محدودة بأَمد زمانيّ دنيويّ ، بل ولا بعالم الدُّنيا برمَّته ؛ فإِنَّ ساحة القدس الإِلٰهيَّة وَظَّفَتهم لرسم خارطة مسار جملة العوالم وطرّ المخلوقات.

ومنه يتَّضح : مدىٰ وضوح جملة الخريطة التَّكوينيَّة واستراتيجيَّة العوالم ومخلوقاتها لدىٰ أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم.

(١) بحار الأَنوار ، ٩٧ : ٣٤٧ ـ ٣٥٢. المزار الكبير : ٩٧ ـ ١٠١.

(٢) مرجع الضمير : (بيانات أَهل البيت عليهم السلام المعرفيَّة وسِيَرهُم وأَفعالهم).

* القرآن الكريم.

١. إحقاق الحقّ ، القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري.

٢. الاختصاص ، الشيخ المفيد محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبري البغدادي.

٣. إرشاد القلوب ، الشيخ الحسن بن أبي الحسن علي بن محمد الديلمي .

٤. أُصول الكافي ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.

٥. إكمال الدين ، الشَّيخ الصدوق، محمد بن عليّ بن بابويه القمي.

٦. الأَمالي ، أبي جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي .

٧. الأَمالي ، الشَّيخ الصدوق، محمَّد بن عليّ بن بابويه القمي.

٨. بحار الأَنوار ، الشَّيخ محمَّد باقر المجلسي.

٩. بصائر الدرجات ، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار.

١٠. تذكرة الخواص ، يوسف بن قزغلي البغدادي السبط ابن الجوزي.

١١. تفسير البصائر ، آية الله أبي محمد يعسوب الدين رستكار الجويباري.
١٢. تفسير العياشي ، محمَّد بن مسعود العياشي.
١٣. التفسير المنسوب إِلى الإِمام العسكري عليه السلام ، الامام أبي محمَّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام.
١٤. تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إبراهيم الكوفي.
١٥. التوحيد ، الشَّيخ الصدوق، محمَّد بن عليّ بن بابويه القمي.
١٦. جنَّة العاصمة ، السيد محمَّد حسن ميرجهاني الطباطبائي.
١٧. الخصال ، الشَّيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي.
١٨. دلائل الإمامة ، الطبري ، الشيخ محمَّد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي الصغي.
١٩. روضة الواعظين ، الشيخ محمَّد بن الفتّال النيسابوري.
٢٠. رياض الجنان : (مخطوط).
٢١. السرائر ، أَبي جعفر محمَّد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلّي .
٢٢. علل الشَّرائع ، الشَّيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي.
٢٣. عوالم العلوم ، الشيخ عبدالله البحراني ، الشَّيخ محمَّد باقر الموحد الأبطحي.
٢٤. عيون أَخبار الرضا عليه السلام ، الشَّيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي.
٢٥. عيون الأَخبار ، بو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.

٢٦. الغدير ، الشَّيخ عبدالحسين أَحمد الأَميني النجفي .
٢٧. غيبة النعماني ، أَبو عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني.
٢٨. فروع الكافي ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.
٢٩. الفصول المختارة ، أَبي عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد.
٣٠. قرب الإِسناد ، الشيخ أبي العبَّاس عبدالله بن جعفر الحميري.
٣١. الكافي ، الشيخ محمَّد بن يعقوب الكليني.
٣٢. كتاب : (سليم بن قيس) ، سليم بن قيس الهلالي.
٣٣. كمال الدين ، الشَّيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي.
٣٤. كنز الفوائد ، الشَّيخ محمَّد بن عليّ الكراجكي الطرابلسي.
٣٥. مجمع النورين ، الشَّيخ أَبو الحسن بن محمَّد النَّجفي الرازي المرندي.
٣٦. المحاسن ، المحدّث أبي جعفر أحمد بن محمَّد بن خالد البرقي.
٣٧. المحتضر ، الشيخ عزّ الدِّين أبو محمَّد الحسن بن سليمان بن محمَّد الحليّ.
٣٨. مختصر البصائر ، الحسن بن سليمان الحلي.
٣٩. المزار الكبير ، الشيخ محمَّد بن جعفر المشهدي.
٤٠. مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشَّاهرودي.
٤١. مشارق أَنوار اليقين في أَسرار أَمير المؤمنين عليه السلام، الخطبة الإِفتخاريَّة ، رجب البرسي.

٤٢. مصباح الهداية ، السيِّد روح الله الخميني الموسوي.
٤٣. ملتقىٰ البحرين ، وليد سيف.
٤٤. من لا يحضره الفقيه ، الشَّيخ الصدوق، محمَّد بن عليّ بن بابويه القمي.
٤٥. مناقب آل أَبي طالب ، محمَّد بن عليّ بن شهر اشوب.
٤٦. نهج البلاغة ، للإمام أَمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.
٤٧. الهداية الكبرى ، لحسين بن حمدان الخصيبي.
٤٨. وسائل الشيعة، محمَّد بن الحسن الحر العاملي.
٤٩. اليقين في أُمرة أَمير المؤمنين ، السيِّد رضي الدِّين عليّ بن موسى بن طاووس.
٥٠. ينابيع المودَّة ، الشيخ سليمان بن إبراهيم الحنفي القندوزي.

الْمُقَدِّمَة ٩

علم: (الحروف) ١٣

رجوع حقيقة جملة الأَسماء والصِّفات الإِلهيَّة إلى حرف فارد ٢٠

خروج في الجملة عن صلب الموضوع ٢١

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام صفات وأَسمآء إِلهيَّة ٣٠

تفصيل وتوضيح أَكثر لِمَا تقدَّم ٣١

المُقدِّمة الأُولى: ٣٢

الصفات والأسمآء الإِلهيَّة مخلوقات إِلهيَّة ٣٢

المُقدِّمة الثانية: ٣٢

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة صفات وأَسماء إِلهيَّة ٣٢

المُقدِّمة الثالثة: ٥٧

تجلِّي الصفات والأَسمآء الإِلهيَّة في حقائق أَهل البيت عليهم السلام ٥٧

خلط الملائكة بين الذات المُقدَّسة وحقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ٦٧

خلوّ المقام وهذه الأَبحاث من شائبة الغلو ٦٩

الإِماتة وبقيَّة الأَفعال الإِلهيَّة على طبقات ٧٤

نكتة عدم استيعاب عقول المخلوقات لشؤون أَهل البيت عليهم السلام ٧٦

حيلولة أَهل البيت عليهم السلام مِنْ نشر علومهم عند مَنْ لا يتحمَّلها ٧٨

طبقات تحمُّل علوم ومعارف أَهل البيت عليهم السلام ٨٠

نكتة إِبتلاءات بعض الأَنبياء عليهم السلام ٨٣

مقامات كُمَّل المخلوقات لا تُعطى إِلاَّ بقدر معرفتهم بأَهل البيت عليهم السلام ٨٦

المُقدِّمة الرابعة : ٩٢

أَوَّل المخلوقات وأَشرفها حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ٩٢

المُقدِّمة الخامسة : ٩٩

حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة فوق الصفات والأَسماء الحسنى ٩٩

نكتة توقُّف المخلوق في قبول مقامات وكمالات أَهل البيت عليهم السلام ١٠١

المُقدِّمة السَّادسة : ١٠٦

هيمنة المخلوق المُتقدِّم وعلوّ كمالاته ١٠٦

المُقدِّمة السَّابعة : ١٠٨

أَنواع الإِحاطة ١٠٨

أَحد تفاسير بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «أَنا النقطة الَّتي تحت الباء» ١١١

المُقدِّمة الثامنة : ١١٣

غائيَّة الخالق (عزَّ وجلَّ) تختلف عن غائيَّة المخلوق ١١٣

تفسيرٌ آخر لبيان أَمير المؤمنين عليه السلام المُتقدِّم ١١٥

خاتمة ١٢١

القضيَّة الأُولى : ١٢١

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام علل غائيَّة ١٢١

القضيَّة الثانية : ١٢٤

خارطة جملة عوالم الخلقة برسم وتخطيط أَهل البيت عليهم السلام ١٢٤

فهرست المصادر ١٣١

فهرست المحتويات ١٣٥

صدر للمؤلف :

- المنهج المختار في قراءة بيانات الوحي
- الشهادة الثالثة في تشهد الصلاة شرورة إِلهيّة
- طهارة دم أبدان أهل البيت عليهم السلام وما شاكله
- تعريف حقيقة الإمام عليه السلام والإمامة الإلهية
- التوسل والوسيلة الالهية فرض وضرورة الهية
- حقيقة الوضع قاعدة خذ الغايات واترك المبادئ